

مَفَاتِيحُ الْفَقْهِ

فِي الدِّينِ

الجزء الأول والثاني

تأليف
مُصِطَفَى الْعَدَوِيِّ

الناشر
مكتبة ماجد عيسى

جدة • هاتف: ٦٦٠٤٢٤٢

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

رقم الإيداع: ١٣٣٨٢/٢٠٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد ..

فإن معالم الخير ودلائل التوفيق تلوح على الأشخاص وتعلوهم إذا وفقوا لطلب العلم الشرعي والفقه في الدين ، وسلكوا طريق ذلك مخلصين فيه لله رب العالمين، وذلك لقول الله تبارك وتعالى : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولَؤُا الْأَبَابِ (٢٦٩)﴾ . [البقرة : ٢٦٩]

ولقوله تعالى : ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ . [المجادلة : ١١]

ولقول نبينا محمد ﷺ : «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(١).

ولقوله عليه السلام : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٢).

(١) أخرجه البخارى (٧١) ، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) أخرجه البخارى (مع الفتح ٧٤/٩) ، من حديث عثمان رضي الله عنه مرفوعاً.

فلا يستوى أبدًا العالم والجاهل، قال الله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. [الزمر: ٩]

وقال سبحانه: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾. [الرعد: ١٩]

فلا يستوى أبدًا جاهل وعالم، بل إن الكلب المعلم والصقر المعلم أفضل من الكلب الجاهل والصقر الجاهل، وكلها كلاب وصقور!!! إلا أن الله سبحانه أباح لنا صيد الكلب المعلم والصقر المعلم، أما الآخرين فلا.

قال الله تعالى في بيان المباحات: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾. [المائدة: ٤]

ثم إن العالم يتحصل - بتوفيق الله له - على أضعاف ما يتحصل عليه الجاهل من الأجر، فيعمل العالم قليلاً ويؤجر كثيراً، وذلك لأنه يعرف الأفعال التي فيها مزيد الخير، والأوقات التي فيها مزيد الأجر، والأحوال والأوضاع التي يرجى فيها مزيد الثواب. ألا ترى نبينا محمداً ﷺ يخرج من عند جويرية زوجه ﷺ بعد صلاة الصبح، ثم يرجع - وقد تركها تذكراً لله - وهي ما زالت تذكر الله فيقول لها: «مازلت على الحال التي فارقتك عليها؟! لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلتهن لو زنتهن، سبحان الله وبحمده عدد خلقه، سبحان الله وبحمده رضا نفسه، سبحان الله وبحمده زنة عرشه، سبحان الله وبحمده مداد كلماته»^(١).

(١) أخرجه مسلم (١٧/٤٤ مع النووي) من حديث جويرية ﷺ مرفوعاً، وله لفظ آخر أيضاً: «سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته».

فهي كلمات يسيرة قالها النبي ﷺ زاد وزنها على وزن ما قالته جريرية رضي الله عنها .

ألا ترى إلى العالم يعمد في صدقته إلى قريب له فقير فيتصدق عليه؛ فينال أجر الصدقة، وأجر الصلة بإذن الله، والجاهل همه أن يتصدق فحسب، فلا يحصل إلا على أجر الصدقة فقط.

ألا ترى أن العالم يعمد إلى النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حين يرى أن المجال ملائم لذلك، والوقت مناسب له، فيطبق قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (٩) [الأعلى : ٩] أي حيث تنفع الذكرى، فتؤتي الذكرى ثمارها فيثاب بإذن الله.

أما الجاهل فلا يبالي بذلك فهمته الإنكار - فقط - أو الأمر فقط، فقد يجلب سباباً لرب العزة جل وعلا، والله سبحانه يقول: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام : ١٠٨].
فالعالم يعلم وقت النصح ، ووقت الترك ، وأيهما الأنفع فيقدمه، وأيهما الأقل نفعاً فيؤجل.

فالعالم الذي هو : قال الله ، قال رسوله ، أنفع العلوم على الإطلاق، فكم من آية واحدة أنجى الله حاملها، وكم من حديث واحد أنجى الله به مسلماً حفظه ووعاه، فهذا أبو بكره رضي الله عنه يتنفع بحديث يتنفع به رسول الله ﷺ ، لما خرجت عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم ليوم الجمل، ودُعي للخروج معهم، فقال لما رأى على القوم عائشة رضي الله عنها : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول - يوم مات كسرى ، فولى

الفرس ابنة كسرى عليهم - : «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»^(١). فترك أبو بكر الخروج معهم من أجل هذا الحديث الذي سمعه من رسول الله ﷺ ، فماذا كان من أمرهم؟!!

كان من أمرهم أن رجع طلحة مقتولاً، وكذا الزبير، ورجعت عائشة وقد عقر جملها ، وهى تقول: يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً.

وفضائل حملة الكتاب العزيز والسنة النبوية لا تكاد تنتهى ، وحسبنا فى هذه المقدمة ما ذكر ، ولكن حتى تتم الفائدة ، ويعم النفع أردت التنبيه على بعض الضوابط ، وجملة من الفوائد لمن سلك طريق الفقه فى الدين ، لعل الله أن يتفنى بها وإخوانى المسلمين ، فجاءت هذه الرسالة الصغيرة فى مبناها ، القوة فى معناها - إن شاء الله - توضح بعض الضوابط والنقاط التى يتحرك عليها أهل العلم والفقه فى الدين فى فهم الأحكام ، وتقعيد القواعد ، وتجنب المزالق ، وتبين ما أشكل من أمور العقائد ، وتوقى ما نصبه أهل الابتداع من حبال المصائد.

وكان موضوع هذه الرسالة محاضرة أُلقيت فى مدينة «الخبر» السعودية ، طلبتها إحدى السيدات الفاضلات الداعيات إلى الله ،

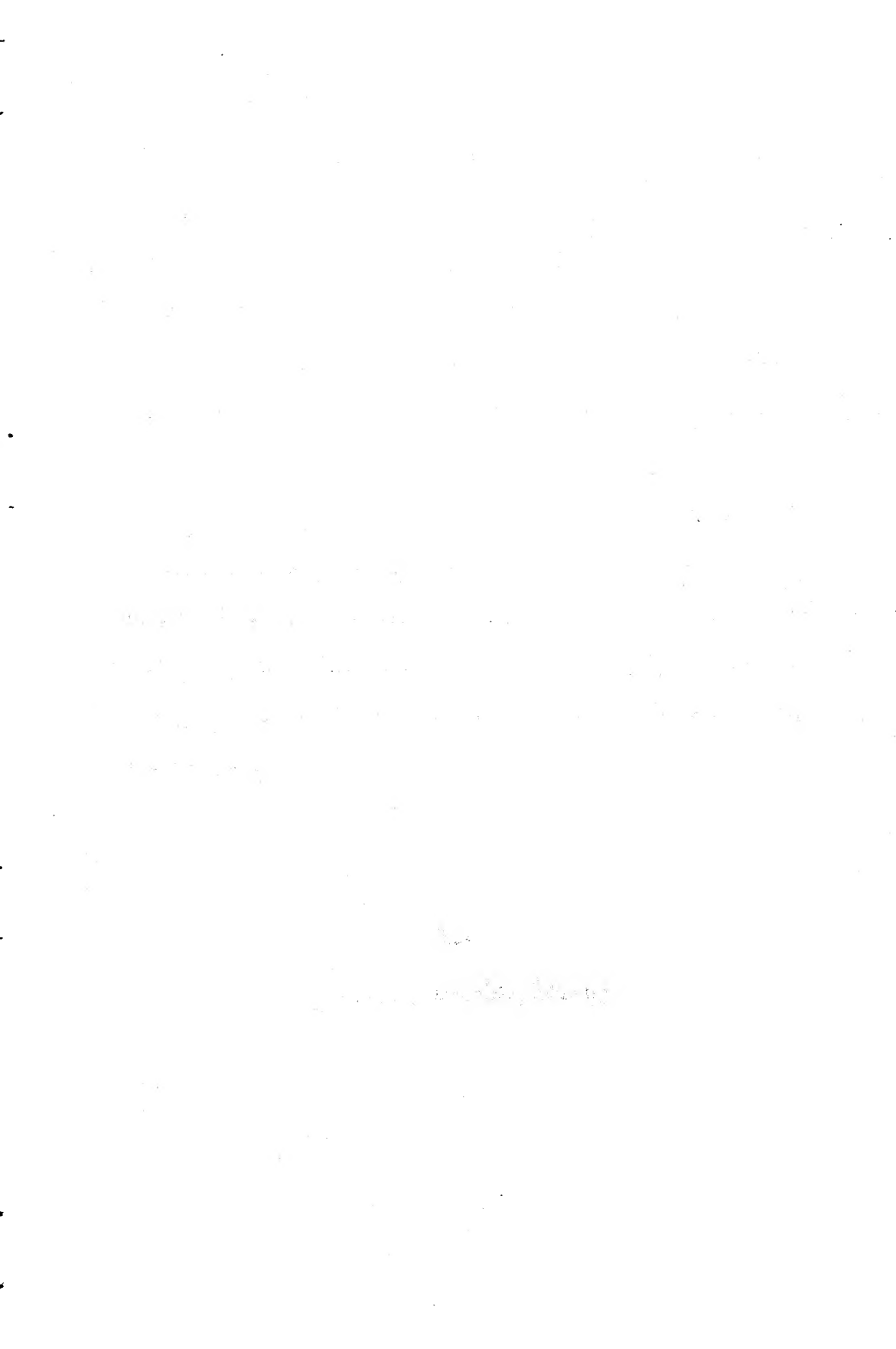
(١) أخرجه البخارى (٤٤٢٥) ، من حديث أبى بكره رضي الله عنه قال: لقد نفعنى الله بكلمات سمعتها من رسول الله ﷺ أيام الجمل ، بعد ما كدت أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم قال: لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى ، قال: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» ، وانظر مزيداً من ذلك فى كتابى : «الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشرار الساعة» (ص ١٣١). طبعة دار الهجرة بالدمام السعودية.

الساعات في الخير - ولا نزكى على الله أحداً فالله حسيبها - ألا وهى السيدة / أم نايهه - حفظها الله وأصلح لها النية والذرية وجزاها الله هى وزوجها خيراً - طلبتها لنوابغ الطالبات فى مركز علمى تقوم عليه، فألقيت المحاضرة ، والحمد لله، ثم لما عدت إلى مصر طلب منى محاضرة على نفس المنوال فى مدن بورسعيد، ودمياط، وطنطا، فألقيت المحاضرة بتوفيق الله مع مزيد بيان وكثرة إيضاح، فكان لها نفع طيب والله الحمد.

فألح على بعض إخوانى بطبعها فى رسالة - وجزاه الله خيراً على ذلك - فقامت بضبطها وتعزيزها بالأمثلة والأدلة وتخريج أحاديثها، وترقيم آياتها، وإعادة ترتيبها وتنسيقها راجياً من الله تعالى النفع والثواب، ولى وللمسلمين السداد والرشاد، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

أبو عبدالله / مصطفى العدوي



جَمْعُ النُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِي الْمَسْأَلَةِ وَالْعَمَلِ بِمَا تَقْتَضِيهِ الْأَدْلَةُ كُلُّهَا مَجْتَمِعَةً

فهذا أمرٌ في غاية الأهمية، وقد أمرنا به ضمناً في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾. [البقرة: ٢٠٨]

يقول فيها الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : يقول الله تعالى أمراً عباده المؤمنين به المصدقين برسوله، أن يأخذوا بجميع عُرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك.

* وقال أيضاً : أَمُرُوا كُلَّهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِجَمِيعِ شُعَبِ الْإِيمَانِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ جَدًّا مَا اسْتَطَاعُوا مِنْهَا.

قلت : فمن هذا يلزمنا إذا أردنا البحث في مسألة، أن نجمع كل النصوص الواردة فيها أمراً أو نهياً، حظراً أو إباحة، إطلاقاً أو تقييداً، عموماً أو خصوصاً، ونوفق بين تلك النصوص قدر استطاعتنا، ثم ننشئ على إثر ذلك الحكم الذي يحتوى تلك الأدلة والنصوص كلها ويتنظمها جميعاً، فحينئذ نخرج بإذن الله بفقهٍ مُتَزِنٍ، بعيد - إلى حدٍّ كبير - عن الاستدراك والانتقاد والتعقيب.

أما إذا عمدنا في الحكم على مسألة، إلى حديثٍ واحد، فأصدرنا من خلاله الحكم، أو إلى عدة أحاديث على نسقٍ معينٍ ووتيرةٍ واحدة فأصدرنا بناءً عليها الحكم، وتركنا أحاديث في نفس الباب لم نتناولها

بالتوجيه أو الجمع بينها وبين الأحاديث الأول... فإننا نضطرب ولا بد،
ونشد ولا مفر، ولا نكاد نعلم فرقة ضلّت من فرق المسلمين، ولا عالماً
شد في مسألة من المسائل، ولا فقيهاً شرد في مسألة فقهية، إلا للعمل
ببعض الأحاديث في الجانب الذي شد فيه، وترك البعض الآخر، إما عن
قصد كفرق الضلال، وإما عن غياب نص كالمجتهدين من أهل العلم،
وإما لعدم استيعاب فقه النص كثير من عوام المسلمين، وإما لرؤيته أن
هذا النص ضعيفاً أو موجهاً أو... و... و...

وما نحن نيين هنا بعض صور الخطر والشذوذ الناجمة من الأخذ
ببعض الأدلة وترك البعض الآخر، وذلك حتى نخلص بنتيجة ذات
أهمية، وهي التي أشرنا إليها، ألا وهي : جمع النصوص في كل
مسألة، وإصدار حكم ينتظم تلك النصوص جميعها، وبالله تعالى
التوفيق، وهو المستعان سبحانه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم.

من الخطر الناشئ عن الأخذ ببعض الأدلة وترك البعض

* فس مجال العقائد :

□ الخوارج والمرجئة □

عَمَدَ الخوارج إلى جملة أدلة من الكتاب والسنة ، وفهموها على غير وجهها ، وأهدروا آيات وأحاديث آخر ، فوصلوا إلى ما وصلوا إليه من تضليل المسلمين وتكفيرهم ، والابتداع في الدين ، وإذا جاء المناظر يناظرهم أوردوا له الآيات والأحاديث التي تشهد في ظاهرها لمنهجهم ، وتركوا ما سواها ، وما هي بعض الأدلة التي يستندون عليها :

١ - قوله تعالى : ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٨١) . [البقرة : ٨١]

٢ - قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١٤) . [النساء : ١٤]

٣ - قوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَصِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٥) . [آل عمران : ١٣٥]

إلى غير ذلك من الآيات .

أما الأحاديث : فاحتجوا بقوله ﷺ : « لا يدخل الجنة قتات »^(١).

* وقوله ﷺ : « لا يدخل الجنة قاطع »^(٢).

* وقوله ﷺ : « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه »^(٣).

* وقوله ﷺ : « من ادعى إلي غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه؛ فالجنة عليه حرام »^(٤).

* وقوله ﷺ : « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة »^(٥).

* وقوله ﷺ : « لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء »^(٦)، إلى غير ذلك من الأحاديث فبنوا على ذلك قواعدهم الباطلة في تكفير المسلمين.

- فكفروا مرتكب المعصية المصراً عليها.

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٤٧٢/١٠)، ومسلم (ص ١٠١) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٩٨٤)، ومسلم حديث (٢٥٥٦) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وفي رواية عند مسلم : « لا يدخل الجنة قاطع رحم ».

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٤٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. وبوائقه : هي غوائله ودواهيته.

(٤) مسلم (حديث ٦٣)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعاً. وأخرجه البخاري (حديث ٦٧٦٦)، من حديث سعد رضي الله عنه مرفوعاً.

(٥) أخرجه البخاري (٣١٦٦) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه مرفوعاً.

(٦) أخرجه مسلم (ص ٩٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً.

- وكَفَرُوا القتات .. وكَفَرُوا قاطعَ الرحم .

- وكَفَرُوا قاتل النفس المعاهدة بغير حق.

- وكَفَرُوا من لا يأمن جاره بوائقه.

- وكَفَرُوا .. وكَفَرُوا .. وكَفَرُوا ..

● وتركوا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾. [النساء : ٤٨]

● وتركوا حديث رسول الله ﷺ : «يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بَرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الْخَيْرِ ذَرَّةً»^(١).

● وتركوا غير ذلك من الأحاديث والآيات فضلوا وأضلوا.

● أما المرجئة فعمدوا إلى حديث رسول الله ﷺ : «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»^(٢).

● وحديث عثمان رضي الله عنه في صحيح مسلم : «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري حديث (٧٤١٠) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٨/١) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) أخرجه مسلم (٢٢١/١) من حديث عثمان رضي الله عنه مرفوعاً.

● وإلى قول النبي ﷺ : «.. فإن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله»^(١).

● وحديث : «من صلى البردين دخل الجنة»^(٢).

● وحديث : «من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار»^(٣).

● وقوله ﷺ : «لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبداً»^(٤).

وغير ذلك من الأحاديث التي على هذا النحو والمنوال.

● وأخذوا أيضاً بقوله تعالى : ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

[المائدة : ٨٥]

فقالوا: إن الله عز وجل قال: فأثابهم الله بما قالوا، واقتصر هنا على القول، إلى غير ذلك من الآيات التي على هذا النحو.

● فحكموا لمن اقتصر على قول لا إله إلا الله بالإيمان والنجاة من النيران، وإن لم يعمل خيراً قط.

(١) أخرجه البخاري من حديث محمود بن الربيع في قصة عتبان بن مالك رضي الله عنه وذهاب الرسول ﷺ إليه ليصلي في بيته (حديث ٤٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٧٤) ، ومسلم (حديث ٦٣٥) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً.

والمراد بالبردين : صلاة الفجر ، وصلاة العصر.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٩٠٧) من حديث أبي عبيس رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) أخرجه مسلم (ص ١٥٠٥).

● وبالنسبة لبعضهم مبالغة شديدة وقال: إن من قالها فهو على إيمان كإيمان جبرائيل وإسرافيل.

● وضل آخرون منهم ضلالاً بعيداً إذ قال: إن من قال: لا إله إلا الله فهو مؤمن ، وإن اعتقد التثليث بقلبه .
وهذا نوع من أنواع الكفر الصراح .

وتغافلوا عن قوله تعالى - في جُلِّ آيات الكتاب - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [البينة: ٧].

فردف الإيمان بالعمل .

وتركوا قول الله جل ذكره: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٤٢) ... إلى قوله تعالى: ﴿ ... إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (١٤٥) . [النساء: ١٤٢ - ١٤٥]

فالآية الكريمة تفيد أنهم يصلون ، ولكنهم إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ، ويزكون ، إلا أنهم كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (٥٤) . [التوبة: ٥٤]

● وتركوا قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) ﴾ . [الماعون: ٤ - ٥]

فهم يصلون إلا أنهم ساهون عن الصلاة .

● وتركوا قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدْ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى

فَتَّةٌ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴿١٦﴾

[الأنفال: ١٥ - ١٦]

فنسوا أن هؤلاء مجاهدون خرجوا للجهاد في سبيل الله، إلا أن زحف الكفار أرهبهم، وشعاع السيوف أزعجهم، فرجعوا وولوا الأدبار، فجاء فيهم الوعيد الشديد.

● نسوا حديث رسول الله ﷺ: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»^(١)، فهذا هو قد طرح في النار، وقد قال: لا إله إلا الله، وأتى بصلاة وصيام وزكاة، ولكن ولات حين...

● وتركوا حديث رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»^(٢).

● وتركوا الوعيد الذي جاء في الكتاب العزيز، والسنة النبوية، لأكلة الربا، والزناة، وأكلة السحت، والمصورين، والمسبلين، والغشاشين، وقطاع الأرحام، وقطاع الطرق، والمتبرجات، وأكلة أموال اليتامى ظلماً، وشهود الزور، والمغتابين، واللصوص...و...و...

(١) أخرجه مسلم (ص ١٩٩٧) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً.

(٢) أخرجه البخارى (حديث ٤٨)، ومسلم (حديث ٦٤) من حديث ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعاً.

- فضَّلْتُ المرجئة وأضلوا كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل .
- وهذا مصير من أخذ بجانب من الأدلة ، وترك جانباً آخر .
- هذا مصير المتميع الذي أخذ أحاديث ظن أنها توافق تميعة .
- وذاك مصير المتشدد الذي أخذ أحاديث ظن أنها تزكي تشدده .

ولكن أهل السنة والجماعة - وفقهم الله وسدد على الطريق خطاهم - أخذوا بهذه النصوص وتلك ، وجمعوا بينها ووفقوا ، وآلفوا بينها وسُدِّدوا ، فرفعوا الإشكال للمسلمين ، وأزالوا الشُّبُه ، وكشفوا الحُجُب ، فجزاهم الله خيراً ، ورفعهم الله قدراً .

فهب أن هناك قاطعاً للرحم يقول : لا إله إلا الله ، فهل نطبق عليه رأى الخوارج ، ونقول : إن الجنة عليه حرام؟ أم قول المرجئة : إنه من أهل الإيمان في فسيح الجنان؟ هل نأخذ بحديث : «من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة» ، ونترك حديث : «لا يدخل الجنة قاطع» ، كما فعلت المرجئة؟ أو نعكس كما فعلت الخوارج؟ أو نأخذ بهما معاً؟

ولنوضح كيف يجتهد أهل السنة في ذلك ، وإن كان الباب ليس بباب ذلك .

وقبل أن نشرع في الجمع بين هذه الأدلة نقرر قواعد بأدلتها :

□ القاعدة الأولى □

ألا وهي أن الجنة درجات ، وكذلك النار دركات ، ولتقرير هذه القاعدة نسوق ما ييسره الله تبارك وتعالى من أدلة ، وإن أصبنا فمن الله وحده ، فله الفضل ، وله الثناء الحسن ، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ، ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه .

قال الله تبارك وتعالى: ﴿... وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمَلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (٧٦)﴾ .
[طه: ٧٥ - ٧٦]

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١)﴾ .

[الواقعة: ١٠ - ١١]

وقال سبحانه في آخر سورة الواقعة: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١)﴾ .
[الواقعة: ٨٨ - ٩١]

وقال النبي ﷺ: «من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها»، فقالوا: يا رسول الله! أفلا نبشر الناس؟! قال: «إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة - أراه قال - وفوقه عرش الرحمن، ومنه تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»^(١).

وقول النبي ﷺ: «إن أهل الجنة ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعمما»^(٢).

وأما الأدلة على أن النار دركات فمنها:

١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ .

[النساء: ١٤٥]

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، حديث رقم (٢٧٩٠).

(٢) أخرجه أحمد من حديث أبي سعيد رضي الله عنه بسند حسن لشواهد (٢٦/٣).

٢ - قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾

[غافر: ٤٦]

٣ - قوله تعالى في شأن أصحاب المائدة: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٥).

[المائدة: ١١٥]

٤ - قول العباس بن عبدالمطلب لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «نعم هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»^(١)، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث في هذا الباب.

□ القاعدة الثانية □

ألا وهي أن هناك من يدخل الجنة قبل غيره ، ومن أدلة ذلك ما يلي:

● قول الله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَاوُا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ إلى أن قال سبحانه: ﴿أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (٤٩) [الأعراف: ٤٦ - ٤٩]

● وقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١]

● وقول رسول الله ﷺ: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة...»^(٢).

(١) أخرجه مسلم من حديث العباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه (ص ١٩٥).

(٢) أخرجه البخارى حديث (٣٢٤٦)، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً.

● حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ الذي أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد،^(١) وهو حديث طويل جاء فيه: «.. ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولا لها».

● قول رسول الله ﷺ: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمسمائة عام»^(٢)، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث.

فمما تقدم يتبين لنا أن قول رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من فعل كذا.. وكذا»، وقوله ﷺ: «لا يدخل النار من فعل كذا وكذا و..» إذا كان المقول فيه من أهل التوحيد، فقد يحمل على أحد الوجهين:

أولهما: أنه لا يدخل مع الداخلين الأولين، بل يأخذ حظه من العذاب - إلا إذا عفا الله عنه - ثم يدخل الجنة.

ثانيهما: أنه قد لا يدخل نوعاً من الجنان التى أعدت لمن ترك هذا الفعل، وقد جاء ما يشهد لذلك فى حديث: «من شرب الخمر فى الدنيا حُرّمها فى الآخرة»^(٣)

(١) أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد باب «وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ» [٢٢] ﴿القيامة: ٢٢﴾، حديث (٧٤٣٧)، ومسلم (حديث ١٨٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢ / ٣٤٣ و ٢٩٦ و ٤٥١)، وانظر أيضاً: الترمذى فى الزهد (٢٧)، وابن ماجة فى الزهد (٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٠٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً، «من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة إلا أن يتوب»، وله الفاظ أخر.

وكذلك الحال بالنسبة لجهنم - أعاذنا الله منها برحمته - فقوله ﷺ: «حرم على النار من قال: لا إله إلا الله» قد يحمل على نار مخصوصة، ألا وهي نار المشركين.

هذا وقد ذهب بعض أهل العلم إلى إمرار هذه الأحاديث على ظاهرها ، حتى تكون أبلغ في الزجر ، والله تعالى أعلم.

□ وفي أبواب الشفاعة □

يعمد قوم إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةً..﴾ [البقرة: ٢٥٤]

وإلى قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١)﴾ [الأنعام: ٥١]

وإلى قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٧٠]

وإلى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨)﴾ [البقرة: ٤٨]

والآيات التي على هذه الشاكلة فيفهمون منها بفهمهم الرديء أنه لا شفاعة في الآخرة ، ويقررون ذلك ويتصرون له ، بنحو قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]

وبنحو قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]

والآيات والأحاديث التي على هذا النحو.

ويغفلون عن مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ .

[البقرة: ٢٥٥]

فأثبتت الآية الشفاعة ، وإن كانت مقيدة بإذن الله سبحانه وتعالى .

وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (٢٦) .

[النجم: ٢٦]

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ .

[الأنبياء: ٢٨]

وقوله تعالى: ﴿وَوَخَّشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً﴾ (١٠٨)

يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ (١٠٩) .

[طه: ١٠٨ - ١٠٩]

إلى غير ذلك من الآيات، وكذلك الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في بيان أنواع الشفاعات «كالشفاعة العظمى، والشفاعة لأهل الكبائر، والشفاعة لخروج أقوام من النار، والشفاعة لتخفيف العذاب عن بعض أهل النار، والشفاعة لرفعة درجات بعض أهل الجنة، وشفاعة الذين ماتوا صغاراً لأبائهم وأمهاتهم، وشفاعة المؤمنين، وشفاعة القرآن، وشفاعة الشهداء، و... ، و...» (١) .

● أما أهل السنة والجماعة - زادهم الله رشدًا - فيوفقون بين تلك الأخبار كلها، ويعملون بالآيات والأحاديث جميعها، فيضعون الضوابط لمسألة الشفاعة.

(١) وكل ذلك قد صحت فيه أحاديث عن رسول الله ﷺ.

□ من هذه الضوابط لهذه المسألة □

● أنه لا شفاعة في كافر^(١)، لقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (١٨) .

[غافر: ١٨]

● وإنه لا يشفع أحدٌ إلا بإذن الله، ولا يُشَفَّعُ إلا فيمن شاء الله له أن يشفع فيه، إلى غير ذلك من الضوابط التي وضعها أهل السنة والجماعة - نصرهم الله وقوى شوكتهم وأظهر حجتهم - في ذلك .

* وفي مجال الفقه :

□ ففي مجال الصوم □

يقوم شخص بالنظر فيما ورد عن رسول الله ﷺ حيث قال ﷺ :
« لا تصوموا يوم السبت، إلا فيما فرض عليكم، وإن لم يجد أحدكم إلا

(١) اللهم إلا ما جاء في أبي طالب، وقول العباس له: يا رسول الله أبو طالب كان يحوطك ويمنعك من الناس، فهل نفعتني بشيء؟ فقال النبي ﷺ : «نعم! هو في ضحضاح من نار يغلى منهما دماغه، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»، إن جاز أن تسمى هذه شفاعة، وإلا فالكفار متفاوتون في العذاب على ما تقدم، فالكافر الداعي إلى كفره يعذب أكثر من غير الداعي، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (٨٨) .

[النحل: ٨٨] ، فعذبوا لكفرهم وعذبوا لصدمهم عن سبيل الله .

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١٧) وَلْيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَ لَا تَعْمَلُ فِيهِمْ شَيْئًا .

يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (١٣) [العنكبوت: ١٢ - ١٣] ، فحملوا أثقالاً لكفرهم وأثقالاً لافتراءهم على الله عز وجل .

عود عنب، أو لحاء شجرة فليمصه»^(١) فيُحرّم صوم يوم السبت ويغفل عن النظر في سائر الأحاديث التي وردت في هذا الباب.

وذلك كقول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه : « . . فصم يوماً وأفطر يوماً، فذلك صيام داود عليه السلام وهو أفضل الصيام »^(٢).

فهذا الذي يصوم يوماً ويفطر يوماً، سيأتي عليه قطعاً يوم السبت وسيصومه، إن أراد السير على صيام يوم وإفطار يوم.

ومن ذلك قول النبي ﷺ : « لا يصوم أحدكم يوم الجمعة إلا يوماً قبله أو بعده »، أخرجه البخاري ومسلم^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

فهذا يقتضى أيضاً صوم يوم السبت.

وعند البخاري^(٤) من حديث جويرية بنت الحارث رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة، فقال : « أصمت أمس؟ » قالت : لا، قال : « تريدن أن تصومي غداً؟ » قالت : لا، قال : « فأفطري ».

فهذا أيضاً يقتضى التصريح لها بصوم يوم السبت مع الجمعة.

(١) أخرجه عبد بن حميد في المنتخب بتحقيقى (حديث ٥٠٧)، وغيره من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه، وروى عنه عن أخته الصماء مرفوعاً أيضاً وسنده صحيح، وأخرجه أيضاً أبو داود (٢٤٢١)، والترمذي (٧٤٤)، والنسائي في السنن الكبرى (١٤٣/٢)، وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٩٧٦)، ومسلم (مع النووي ٤١/٨).

(٣) البخاري (حديث ١٩٨٥)، ومسلم (مع النووي ٨/١٨).

(٤) البخاري (حديث ١٩٨٦).

ومن ذلك أيضاً ما أخرجه مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»^(١).

فمن حافظ على صيام الست من شوال عقب يوم العيد مباشرة، سيأتي عليه - ولا بد - عامٌ يوافق يوم السبت.

● وكذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ في الحث على صيام الثلاثة أيام البيض من كل شهر، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر. وهي أحاديث ترتقى بمجموعها إلى الصحة^(٢).

● وورد أيضاً أن النبي ﷺ كان يصوم من غرة كل شهر ثلاثة أيام^(٣)، فالمحافظ على صوم هذه الأيام الثلاثة، سيأتي عليه - ولا بد - شهر يوافق فيه يوم السبت.

وكذلك الوارد عن رسول الله ﷺ في الحث على صيام يوم عرفة والترغيب فيه، وكذلك صوم يوم عاشوراء.

ففي صحيح مسلم^(٤) أن النبي ﷺ قال: «صيام يوم عرفة أحتسب

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٥٦/٨).

(٢) وهي أحاديث تصح بمجموع طرقها، وانظرها عند النسائي في السنن (٤/٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥).

(٣) أخرج ذلك أبو داود بسند حسن (حديث ٢٤٥٠)، وكذلك الترمذي (حديث ٧٤٢)، إلا أن هذا الحديث أعل بالوقف، كما أشار إلى ذلك الترمذي - رحمه الله - .

(٤) مسلم (مع النووي ٥٠/٨).

على الله أن يكفر السنة التي قبله ، والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء
أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله» فالمواظبة على ذلك سيوافق
فيها المرء صوم يوم السبت في عام من الأعوام بلا شك .

فحديث الباب : «لا تصوموا السبت ، إلا فيما افترض عليكم» يفيد
أن يوم عرفة وعاشوراء لا يُصامان إذا وافق يومٌ منهما يوم السبت ، وهذا
قول لم يقل به أحدٌ من العلماء فيما علمت ، فهذا مما يوهن من صحة
حديث «لا تصوموا السبت إلا فيما افترض عليكم» .

● وكذلك الوارد في صوم شعبان .

ففي الصحيحين^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ كان يصوم
شعبان كله» ، وفي رواية «إلا قليلاً» ، فيحمل هذا على أنه كان يصوم
أكثر شعبان ، ولو كان يستثنى السبت لنقلت ذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .
وكل حديث من هذه الأحاديث التي قدمنا ذكرها أصبح بمفرده من
حديث النهي عن صوم يوم السبت المذكور ، فلا ينبغي ولا يليق بحال من
الأحوال أن تطرح هذه الأحاديث ، ولا يُعبأ بها ، ويقدم عليها حديث :
«لا تصوموا السبت إلا فيما افترض عليكم» !!

ثم أيضاً لا يليق بحال من الأحوال أن تُهدر أقوال العلماء في مثل
هذا المقام وتُهمل !!

بل يلزم العمل بالأحاديث مجتمعة ، وترجيح الأصح والأقوى ،
ويلزم كذلك النظر في أقوال أهل العلم ، سواء من ناحية حكمهم على

(١) البخارى (حديث ١٩٧٠) ، ومسلم (مع النووى ٣٧/٨) .

الأحاديث ، أو من ناحية فقههم للأحاديث ، أما النظر إلى متن حديث واحد وسند واحد ، وإهمال ما سوى ذلك فيورث فقهاً شاذاً منبوذاً .

فغريبٌ أمر رجلٍ يفطر يوم عاشوراء والمسلمون صيام ؛ لكون يوم عاشوراء وافق عنده يوم سبت ، ولا يحل له بزعمه أن يصوم يوم السبت!!

وكذلك غريب أمر رجلٍ ليس بحاج ، والناس من حوله يوم عرفات صيام وهو مفطر!!

ليس هذا بمحروم الأجر والثواب ؛ لقلة فقهه وإهماله العمل بجملة أحاديث؟ ألم يكن الأولى به ثم الأولى أن يجمع بين الأحاديث وينظر في أقوال سلفه الصالح - رحمهم الله - ويؤلف بين هذه الأحاديث تأليفاً مرضياً مقبولاً؟!!!

فحقاً كما قال رسولنا محمد ﷺ : «من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين» .

□ أما أقوال أهل العلم في هذا الحديث □

فمنهم من ضعفه ابتداءً ، بل وبالغ في التضعيف .

● فقد قال مالك - رحمه الله - : هذا حديث كذب^(١) .

● ونقل^(٢) عن الزهري - رحمه الله - تضعيف هذا الحديث .

(١) نقل ذلك عنه أبو داود في سننه عقب حديث (٢٤٢٤) .

(٢) قال الطحاوي (شرح معاني الآثار ٨١/٢) : ولقد أنكر الزهري حديث الصماء في

كراهة صوم يوم السبت - ولم يعده من حديث أهل العلم بعد معرفته به ثم =

- وقال أبو داود : إنه منسوخ^(١).
- وقال النسائي : إنه مضطرب^(٢).
- أما يحيى بن سعيد فكان يتقى هذا الحديث^(٣)، وكذلك الأوزاعي - رحمه الله^(٤).

● أما الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - فقد قال الأثرم : وحجة أبي عبدالله - يعنى الإمام أحمد - فى الرخصة فى صوم يوم السبت أن الأحاديث كلها مخالفة له ، قد ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فى كتابه اقتضاء الصراط المستقيم .

= ذكر بإسناده إلى الليث^(*) ، قال : سئل الزهرى عن صوم يوم السبت فقال : « لا بأس به » ، ف قيل له : فقد روى عن النبى ﷺ فى كراهته ، فقال : ذاك حديث حمصى ، فلم يعده الزهرى حديثاً يقال به وضعفه .

(١) سنن أبي داود (ج ٢ / ٨٠٦) .

(٢) نقلاً عن حاشية أبي داود ، فيها قال النسائي : هذه أحاديث مضطربة (المنذرى) : ونقل الحافظ ابن حجر أيضاً فى تلخيص الحبير قول النسائي : هذا حديث مضطرب . وذكر الحافظ ابن حجر بعض أوجه إعلال هذا الحديث فى تلخيص الحبير .

(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (٥٧٢/٢) .

(٤) انظر : سنن أبي داود (حديث ٢٤٢٤) ، وهو هنالك من طريق الوليد عن الأوزاعي ، قال : ما زلت له كاتباً حتى رأيت انتشر .

(*) وفى السند هنالك عبدالله بن صالح كاتب الليث ، وفيه مقال ، لكن قد ورد عند أبي داود (٢٤٢٣) من طريق ابن وهب قال : سمعت الليث يحدث عن ابن شهاب أنه كان إذا ذكر له أنه نهى عن صيام يوم السبت يقول ابن شهاب : هذا حديث حمصى .

● وقد حكم الطحاوى على هذا الحديث بالشذوذ^(١).

هذا ومن العلماء من حسنة كالترمذى - رحمه الله تعالى - وصححه الحاكم - رحمه الله.

□ أما أقوالهم في فقه هذا الحديث (فهذه بعضها) □

فمن حسنة حملة على تخصيص يوم السبت بالصيام، وإفراده من بين سائر الأيام بذلك، فإن هذا يؤول بالشخص إلى التشبه باليهود الذين يعظمون يوم السبت.

● قال الترمذى^(٢) - رحمه الله - : ومعنى كراهته فى هذا، أن يخصَّ الرجل يوم السبت بصيام؛ لأن اليهود تعظم يوم السبت.

● قال النووى - رحمه الله تعالى (فى المجموع ٤٢٩/٦) - :

والصواب على الجملة ما قدمناه عن أصحابنا ، أنه يكره إفراد السبت إذا لم يوافق عادة له.

● قال ابن قدامة فى المغنى^(٣) : قال أصحابنا : يكره إفراد يوم السبت بالصوم ، وذكر الحديث ، ثم قال : قال أبو عبد الله^(٤) : أما صيام

(١) قال الطحاوى (شرح معانى الآثار ٨٠ / ٢) - بعد أن أشار إلى الأحاديث المبيحة لصوم يوم السبت - : ففى هذه الآثار المروية فى هذا إباحة صوم يوم السبت تطوعاً ، وهى أشهر وأظهر فى أيدي العلماء من هذا الحديث الشاذ ، الذى قد خالفها.

(٢) الترمذى (١١١ / ٣).

(٣) المغنى (١٦٦ / ٣).

(٤) يعنى أحمد بن حنبل - رحمه الله .

يوم السبت يفترد به، فقد جاء فيه حديث الصماء، وكان يحيى بن سعيد يتيقه، أى أن يحدثني به، وسمعت من أبى عاصم، والمكروه إفراده، فإن صام معه غيره فلا يكره، لما قدمناه.

● أما الطحاوى فى شرح معانى الآثار فقال^(١):

وقد يجوز عندنا - والله أعلم - إن كان ثابتاً أن يكون، إنما نهى عن صومه لئلا يعظم بذلك فيمسك عن الطعام والشراب والجماع فيه كما يفعل اليهود.

فأما من صامه لا لإرادته تعظيمه، ولا لما تريد اليهود بتركها السعى فيه، فإن ذلك غير مكروه.

فهذه بعض أقوال العلماء، ولم تُرد الاستقصاء، فليس هذا محل الاستقصاء، وإنما دارت أقوالهم فى فلك واحد، مؤداه أن الحديث فى حالة ثبوته يتنزل على من يعتمد تخصيص السبت بالصيام، فيؤول به ذلك إلى تعظيم يوم السبت، كما تعظمه اليهود، أما من لم يعتمد تعظيمه، أو ضم إليه غيره، فلا بأس بصيامه، والحالة هذه، والله تعالى أعلم.

فكيف يصنع هذا الذى أخذ بحديث : «لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم» مع هذه النصوص، هل يقول نترك صوم يوم عاشوراء، وصوم يوم عرفة، إذا وافق يوم السبت؟ أم ماذا يصنع صاحب هذا الفقه السقيم!!

(١) الطحاوى (شرح معانى الآثار) (٢/ ٨١).

أظن أنه أولى له ، ثم أولى أن يجمع بين الأحاديث ، ويؤلف بينها على ما جمع وألف سلفه الصالح - رحمهم الله - وجعل الجنان مثوهم .

□ وفي مجال الأشربة مثلاً □

يعمد شخص إلى ما ورد في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه نهى أن يشرب الرجل قائماً^(١) .

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وفيه أن النبي ﷺ زجر عن الشرب قائماً^(٢) ، والأحاديث التي في هذا المعنى .

ويترك ما ورد من حديث على رضي الله عنه ، أنه صلى الظهر ثم قعد في حوائج الناس ، في رحبة الكوفة ، حتى حضرت صلاة العصر ، ثم أتى بماء فشرب وغسل وجهه ويديه - وذكر رأسه ورجليه - ثم قام فشرب فضله وهو قائم ، ثم قال : إن ناساً يكرهون الشرب قائماً ، وإن النبي ﷺ صنع مثل ما صنعت^(٣) .

وما ورد من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال : شرب النبي ﷺ من زمزم وهو قائم^(٤) ، إلى غير ذلك من الأحاديث التي وردت في هذا الباب ، ولا يحاول التوفيق بينها فيقع في إجحاف وعدم إنصاف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله^(٥) .

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢٤) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٠٢٥) .

(٣) أخرجه البخاري (٥٦١٦) .

(٤) أخرجه البخاري حديث (٥٦١٧) ، ومسلم (حديث ٢٠٢٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً .

(٥) وأوجه الجمع قد أوردها ابن حجر في فتح الباري (٨٤/١٠) ، وغيره فراجعها إن =

وكذلك يحدث الخلل في جوانب فقه الآداب والأخلاق^(١) والتعاملات بين الناس إذا أخذ الشخص بجانب من الأدلة وترك جانباً.

□ ففي أبواب الحياء مثلاً □

ينظر شخص في الباب فيرى حديث رسول الله ﷺ : «الحياء من الإيمان»^(٢)، وقوله ﷺ : «الحياء لا يأتي إلا بخير»^(٣)، وكون النبي ﷺ : «كان أشد الناس حياءً من العذراء في خدرها»^(٤)، وقول النبي ﷺ : «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت»^(٥)، وثناء النبي ﷺ على عثمان لحياؤه^(٦)، وغير ذلك من الأحاديث الواردة في الباب، فيكتسى المطلع عليها بجلباب الحياء، وما أجمله من جلباب

= شئت، والذي اختاره هو وجنح إليه أن أحاديث النهي تحمل على كراهة التنزيه، وأحاديث الجواز على بيانه، وقال: وهذا أحسن المسالك وأسلمها وأبعدا من الاعتراض.

- (١) راجع كتاب: «فقه الأخلاق والمعاملات مع المؤمنين» من تصنيفي، والله الموفق.
- (٢) أخرجه البخاري (حديث ٦١١٨)، ومسلم (حديث ٣٦)، ولفظ البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: مرَّ النبي ﷺ على رجل وهو يُعَاتِب أخاه في الحياء يقول: إنك لتستحي حتى كأنه يقول: قد أضرب بك، فقال رسول الله ﷺ: دعه فإن الحياء من الإيمان.
- (٣) أخرجه البخاري (حديث ٦١١٧)، ومسلم (حديث ٣٧) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً.
- (٤) أخرجه البخاري (حديث ٦١١٩)، ومسلم (حديث ٢٣٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً.
- (٥) أخرجه البخاري (٦١٢٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً.
- (٦) في صحيح مسلم (حديث ٢٤٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال في شأن عثمان: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة».

وما أحسنه من رداء، إلا أنه يبالغ في هذا حتى يصده حياؤه عن طلب العلم والتفقه في الدين فيُحرم العلم والفقه، كما قال قائل السلف رحمهم الله: «لا ينال العلم مستحى، ولا مستكبر»^(١)، وينسى ما أخرجه البخارى ومسلم عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: جاءت أم سليم امرأة أبى طلحة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن الله لا يستحى من الحق، هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم إذا رأت الماء».

وما أخرجه مسلم^(٢) من حديث أنس رضي الله عنه قال: جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت له - وعائشة عنده - : يا رسول الله! المرأة ترى ما يرى الرجل في المنام، فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه، فقالت عائشة: يا أم سليم فضحت النساء تربت يمينك، فقال لعائشة: «بل أنت فترت يمينك، نعم فلتغتسل يا أم سليم إذا رأت ذاك».

وفى الباب أيضاً ما أخرجه مالك فى الموطأ^(٣)، من حديث عائشة بنت طلحة أنها أخبرت أبا النضر أنها كانت عند عائشة زوج النبي ﷺ فدخل عليها زوجها هنالك - وهو عبدالله بن عبدالرحمن بن أبى بكر الصديق - وهو صائم، فقالت له عائشة: ما يمنعك أن تدنو من أهلك فتقبلها وتلاعبها؟ فقال: أقبلها وأنا صائم؟ قالت: نعم. وإسناده

(١) انظر البخارى مع الفتح (١ / ٢٢٨).

(٢) مسلم (حديث ٣١٠).

(٣) الموطأ (١ / ٢٩٢).

صحيح، فعائشة أم المؤمنين العالمة الفقيهة لم يمنعها الحياء أن تعلم ابن أخيها أن القبلة للصائم جائزة.

وفى الباب أيضاً ما أخرجه مسلم^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل هل عليهما الغسل؟ وعائشة جالسة، فقال رسول الله ﷺ: «إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل»، فلم يمنع النبي ﷺ حياؤه أن يبين للمسلمين ما أشكل عليهم من أمر دينهم.

ونحوه في مسلم^(٢) من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: اختلف في ذلك رهط من المهاجرين والأنصار، فقال الأنصاريون: لا يجب الغسل إلا من الدفق أو من الماء، وقال المهاجرون: بل إذا خالط فقد وجب الغسل، قال: قال أبو موسى: فأنا أشفيك من ذلك، فقممت فاستأذنت على عائشة فأذن لي، فقلت لها: يا أماه (أو يا أم المؤمنين) إني أريد أن أسألك عن شيء وإنني أستحييك، فقالت: لا تستح أن تسأل عما كنت سائلاً عنه أمك التي ولدتك، فإنما أنا أمك، قلت: فما يوجب الغسل؟ قالت: على الخبير سقطت، قال رسول الله ﷺ: «إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان فقد وجب الغسل»، فها هي أم المؤمنين عائشة الفقيهة تعلم الناس أمر دينهم ولا تستحي من ذلك، وأيضاً فنعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء من الفقه في الدين.

فهكذا لا ينبغي أن يفهم شخص أن الحياء يصد عن الفقه في

(١) مسلم (حديث ٣٥٠).

(٢) مسلم (حديث ٣٤٩).

الدين، وكذلك لا ينبغي أن تتمادى بشخص مسأله حتى يخرج إلى الخير المذموم، فيتحدث فيما يتعلق بأمور تخدش الحياء حيث لا حاجة إليها، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، والله يؤتي الحكمة من يشاء.

❑ وفي مجال الحب والبغض ❑

يعمد الروافض البُعداء البغضاء إلى حديث لرسول الله ﷺ قاله ﷺ في شأن علي بن أبي طالب عليه السلام وفيه : «من كنت مولاه فعلى مولاه»^(١).

وقول علي بن أبي طالب عليه السلام : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأُمي ﷺ إليّ : «أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»^(٢)، وغير ذلك من الأحاديث التي وردت في هذا الباب فيبغضون كل من كان بينه وبين عليٍّ شيء من أصحاب النبي ﷺ، وينسون الأحاديث التي وردت في فضل هؤلاء الصحابة، كقول النبي ﷺ : «من حفر رومة فله الجنة»^(٣)، وحفرها عثمان، وقول النبي ﷺ : «من جهز جيش العسرة فله الجنة»، وجهزه عثمان، وقول النبي ﷺ : «إن لكل نبي حوارياً وحواريّ الزبير»^(٤)، وقول النبي ﷺ : «لو كنت متخذاً من الناس خليلاً

(١) صحيح لشواهده، أخرجه أحمد (٣٧٠ / ٤)، وابن حبان (موارد الظمان ٢٢٠٥)، والنسائي في الخصائص (٩٠) وغيرهم، وانظر مزيداً من الكلام عليه في كتابي : «الصحيح المسند من فضائل الصحابة».

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٧٨).

(٣) أخرجه البخاري معلقاً (حديث ٢٧٧٨)، وانظره في كتابي : «الصحيح المسند من فضائل الصحابة»، وهو صحيح لشواهده.

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٤١١٣)، ومسلم (حديث ٢٤١٤)، وغيرهم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً. وأخرجه أحمد أيضاً (٨٩ / ١) من حديث علي =

لاتخذت أبا بكر خليلاً^(١). وقول النبي ﷺ في شأن أبي بكر وعمر وعثمان لما صعد بهم أحداً، فرجف أحد فقال النبي ﷺ: «اثبت أحدُ فإن عليك نبي وصديق وشهيدان»^(٢).

إلى غير ذلك من الأحاديث .

ويجهلون أن المحبة الواردة في حديث رسول الله ﷺ : «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» ، إنما هي المحبة الشرعية ، والبغض الشرعي ، بمعنى أنه لا يحبك لتصرتك رسول الله ﷺ وجهادك معه إلا مؤمن ، ولا يبغضك لذلك إلا منافق ، ونحو هذا .

□ كذلك في مجال التحدث بالنعم أو ترك ذلك □

يأخذ شخص بالعمومات الواردة في الحسد ، ويقول يعقوب ليوسف عليهما السلام : ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (٥) [يوسف: ٥]

وبما ورد عن رسول الله ﷺ : «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود»^(٣) ، ونحو ذلك فيمتنع عن تحديث

= ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل نبي حوارى وحوارى الزبير» .

ونقل أحمد عن سفيان قوله : (الحوارى : الناصر) .

(١) أخرجه البخارى (حديث ٤٦٧) ، وغيره من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، ولهذا الحديث عدة طرق عن رسول الله ﷺ فى الصحيحين وغيرهما ، انظرها فى «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» .

(٢) أخرجه البخارى (حديث ٣٦٧٥) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه مرفوعاً .

(٣) لأخيना خالد المؤذن كتاب فى تضعيف هذا الحديث ، ألا وهو «البرهان فى =

الناس بأوجه الخير والنعم التي هو فيها، سترًا لها، وينسى في الباب قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى : ١١] وحديث رسول الله ﷺ : «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»^(١).

والفقيه هو من آتاه الله رشد، وعلم متى يتحدث بالنعم، ومتى يكتمها، يعلم أنه يتحدث بالنعم عند من يدعو له بالبركة، ويكتمها عند الحساد ذوى القلوب المريضة.

□ كذلك في مجال المظهر والتجميل □

يعمد شخص إلى حديث رسول الله ﷺ : «البذاذة من الإيمان»، وحديث «أو كلكم يجد ثوبين»^(٢)، ونحو ذلك ويهمل في زيه وملبسه ويغفل أو يتغافل عن قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [٣٢]. [الأعراف: ٣٢]

وينسى حديث رسول الله ﷺ : «إن الله جميل يحب الجمال»^(٣).

وقد يعكس شخص القضية فيبالغ في التجميل ويضيع الأوقات فيه، وينسى ما تقدم من أحاديث وآيات، والموفق من هداه الله، وعلم متى يتجمل، ومتى يترك التجميل، وما الذى يلزم فى الجمع، والعيدين،

= تضعيف حديث : استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان» فليراجعه من شاء.

(١) حسن ، أخرجه الترمذى (٢٨/٩)، وله شواهد عند الحاكم (٤ / ١٨١ - ١٨٢) وغيره.

(٢) أخرجه البخارى (٣٦٥) ، ومسلم (٥١٥) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً.

(٣) أخرجه مسلم (٩١) من حديث عبدالله بن مسعود رضى الله عنه مرفوعاً.

واستقبال الأضياف، والتجمل للزوجات، وما الذى يلزم إذا دهم العدو البلاد ولُحِدت القبور، والمستعان الله سبحانه.

□ وفى مجال معاملة أصحاب المعاصى وأهل البدع □

يذهب بعض الإخوان فى ذلك مذهباً شديداً وهو المقاطعة بالكلية، ويستأنسون لذلك بحديث كعب بن مالك وهجران النبى ﷺ وأصحابه لكعب وصاحبيه خمسين ليلة لا يكلمون كعباً، ولا يردون عليه سلاماً؛ لتخلفه عن رسول الله ﷺ بغير عذر^(١).

ويوردون فى الباب أيضاً مجىء النبى ﷺ إلى بيت عائشة ؓ وامتناعه ﷺ من الدخول إليها وإلقاء السلام عليها لوجود صورة معلقة فى داخل البيت، حتى قالت عائشة ؓ: أتوب إلى الله وإلى رسوله، ماذا أذنبت يا رسول الله؟^(٢) . . الحديث.

وفى الباب أيضاً: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨) وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنَ

(١) أخرجه البخارى (حديث ٤٤١٨)، ومسلم (حديث ٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك ؓ فى قصة تخلفه عن رسول الله ﷺ.

(٢) أخرجه البخارى (حديث ٥٩٥٧)، ومسلم (ص ١٦٦٩) من حديث عائشة ؓ أنها اشترت نمرة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب، فلم يدخل، فعرفت فى وجهه الكراهة، فقلت: يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله ﷺ، ماذا أذنبت؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما بال هذه النمرة؟» قلت: اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها، فقال رسول الله ﷺ: «إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون، فيقال لهم: أحيوا ما خلقتم»، وقال: «إن البيت الذى فيه الصور لا تدخله الملائكة».

حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرُنَا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ . [الأنعام: ٦٨ - ٦٩]

وفي الباب أيضاً: ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ . [المائدة: ٧٨ - ٧٩]

وجملة من الآثار عن السلف الصالح - رحمهم الله تعالى - في هجرانهم أصحاب المعاصي، فيذهب الإخوان في ذلك مذهباً لا مساومة فيه إلا وهو اعتزال أصحاب المعاصي نهائياً، وعدم الجدل معهم ، وعدم مناقشتهم ومجالستهم بحال.

وبالنسبة لما استدلوا به فهو صحيح ، لكن في الباب غيره أيضاً.

في الباب قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ . [العنكبوت: ٤٦]

وقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ . [النحل: ١٢٥]

فإن كان هذا في المشركين ففي المسلمين من باب أولى، قال تعالى: ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ . [الشعراء: ٢١٥ - ٢١٦]

وفي الباب أيضاً قول النبي ﷺ لعائشة - في شأن ذلك الشرير القادم عليه - : «بئس أخو العشير» ، ولما قدم على رسول الله ﷺ ألان له النبي ﷺ القول^(١).

(١) أخرجه البخاري (٣١٣٢)، ومسلم (٢٥٩١) من حديث عائشة رضي الله عنها : أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ، فلما رآه قال: «بئس أخو العشيرة» ، وبئس ابن العشيرة» ، فلما جلس تطلق له النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت =

وفى الباب أيضاً: ذهب ابن عباس رضي الله عنه إلى الخوارج - وهم من شر الخليقة - ومجادلتهم حتى رجع منهم ألوف إلى صفوف أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه وأصبحوا سيوفاً معه بعد أن كانوا سيوفاً عليه^(١).

= له عائشة: يا رسول الله! حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلعت فى وجهه وانبسطت إليه، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة متى عهدتني فاحشاً؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره»، وفى رواية: ألان له الكلام.

(١) أخرج النسائي (فى الخصائص) بإسناد حسن إلى ابن عباس رضي الله عنه قال: لما خرجت الحورية اعتزلوا فى دارهم، وكانوا ستة آلاف، فقلت لعلى رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين أبرد بالظهر لعلى أتى هؤلاء القوم فأكلمهم، قال: إنى أخاف عليك، قلت: كلا، قال: فقمت وخرجت، ودخلت عليهم فى نصف النهار وهم قائلون، فسلمت عليهم، فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس، فما جاء بك؟ قلت لهم: أتيتكم من عند أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم وصهره، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد لا يبلغكم ما يقولون، وتخبرون بما تقولون، قلت: أخبرونى ماذا نعمتم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه؟ قالوا: ثلاث. قلت: ماهن؟ قالوا: أما إحداهن فإنه حكّم الرجال فى أمر الله، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]، ما شأن الرجال والحكم؟ فقلت: هذه واحدة، قالوا: وأما الثانية: فإنه قاتل، ولم يسب ولم يغتم، فإن كانوا كفاراً سلبهم، وإن كانوا مؤمنين ما أحل قتالهم، قلت: هذه اثنان، فما الثالثة؟ قالوا: إنه محى نفسه عن أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين، قلت: هل عندكم شىء غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا، قلت: أرايتم إن قرأت عليكم من كتاب الله، ومن سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ما يرد قولكم أترضون؟ قالوا: نعم، قلت: أما قولكم: حكّم الرجال فى أمر الله، فانا أقرأ عليكم فى كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال فى ثمن ربع درهم =

وفي الباب غير ما ذكر ، فمن وفقه الله ورزقه الفقه في الدين ،

= فأمر الله الرجال أن يحكموا فيه ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ الآية . [المائدة: ٩٥] ، فأنشدتكم بالله تعالى ، أحكم الرجال في أربب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم ، وصلاح ذات بينهم ، وأنتم تعلمون أن الله تعالى لو شاء لحكم ، ولم يُصير ذلك إلى الرجال ، قالوا: بل هذا أفضل ، وفي المرأة وزوجها قال الله عز وجل : ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥] فأنشدتكم بالله ، حكم الرجال في صلاح ذات بينهم ، وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في امرأة ، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم .

قلت: وأما قولكم: قاتل ولم يسب ، ولم يغنم أفتسبون أمكم عائشة ، وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها ، وهي أمكم؟ فإن قلتم: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم ، ولئن قلتم: ليست بأمنا فقد كفرتم؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] ، فأنتم تدورون بين ضلالتين ، فأتوا منهما بمخرج: قلت: فخرجت من هذه؟ قالوا: نعم .

قلت: وأما قولكم: محى اسمه من أمير المؤمنين ، فأننا آتيكم بمن ترضون ، وأراكم قد سمعتم أن النبي ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلی ﷺ : «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ وعلى آله وسلم» فقال المشركون: لا والله ما نعلم أنك رسول الله ، لو نعلم أنك رسول الله لأطعنك ، فاكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله ﷺ : «امح يا علي رسول الله ، اللهم إنك تعلم أني رسولك ، امح يا علي ، واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله» . فوالله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير من علي ، وقد محا نفسه ، ولم يكن محوه ذلك يحويه من النبوة؛ خرجت من هذه؟ قالوا: نعم ، فرجع منهم ألفان(*) ، وخرج سائرهم وقتلوا على ضلالتهم ، فقتلهم المهاجرين والأنصار .

(*) في رواية بإسناد حسن فرجع منهم عشرون ألفاً ، ووجه الجمع أن يقال: إن التقدير اختلف على حسب الرؤية والوقت ، والله أعلم .

وألهمه رشده ، هو الذى ينظر إلى الموقف الذى يحتاج إلى شدة فيشتد فيه ، والحال الذى يحتاج إلى لين فيلين فيه ، والحال الذى يحتاج إلى صلة فيصل فيه ، والحال الذى يحتاج إلى هجران فيهجر فيه ، فأصحاب المعاصى وأهل البدع يتفاوتون ، وفى طبائعهم وعصيانهم وأنواع بدعهم متنوعون ، وفى عقولهم وتفكيرهم وسجاياهم متباينون .

فالمهتدى من هداه الله ، والملمم الموفق المسدد من سدده الله !

□ كذلك فى مجال التعامل مع أولى الأمر وصلتهم □

يعمد شخص مثلاً إلى الحديث المروى عن رسول الله ﷺ :
«..ومن أتى أبواب السلطان افتتن»^(١) وإلى قوله ﷺ : «..فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه»^(٢) .

وكم من الآثار الواردة عن السلف الصالح - رحمهم الله - فى ذم إتيان أبواب السلاطين ، وما ورد عن ابن المبارك فى رسالته لابن عُلَيَّة :

فأين روايتك فى سردها فى ذم أبواب السلاطين

فيبنى من ذلك رأياً ويسلك فى ذلك منهجاً ألا وهو ترك أبواب السلاطين جملة وتفصيلاً سداً للذريعة واحتياطاً للدين .

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٥٩) ، والترمذى (٢٢٥٦) من حديث ابن عباس رضيهما الله عنهما مرفوعاً ، وفى إسناده ضعف ، وقد ورد عند أبى داود (٢٨٦٠) عن أبى هريرة مرفوعاً ، وفيه كلام أيضاً .

(٢) أخرجه البخارى (حديث ٥٢) ، ومسلم (حديث ١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعاً .

● بينما يعتمد آخر إلى أدلة آخر في الباب ألا وهي قوله ﷺ :
«الدين النصيحة..» قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «الله ولكتابه ولرسوله
ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١).

وحديث رسول الله ﷺ : «ما بعث الله من نبي ، ولا استخلف من
خليفة إلا وكانت له بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف، وتحضه عليه، وبطانة
تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله تعالى»^(٢).

□ وكذلك في مجال معاشرة الناس ومخالطتهم □

قد يعتمد شخص إلى أحاديث وردت في الحث على الاعتزال في
بعض الأوقات كحديث: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها
شعف»^(٣) الجبال ومواقع^(٤) القطر يفر بدينه من الفتن»^(٥)، وحديث كحديث

(١) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري رضى الله عنه مرفوعاً.

(٢) أخرجه البخارى (٧١٩٨) من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه مرفوعاً، والأحاديث
التي على هذا النحو، وجملة من الآثار على هذه الشاكلة، فيقول: أنا أدخل
عليهم وأكون لهم من الناصحين، فيفتح انفتاحاً كلياً عليهم، وبعد ذلك تشرف
نفسه إلى ما فى أيديهم ، ويقع فى المحذور، ويصبح قاتلاً ، وهو لا يشعر،
والمعصوم من عصمه الله تبارك وتعالى، والملمهم من ألهمه الله رشده، فيقبل عليهم
وينصحهم إذا كان الحال يستدعى ذلك، ويذكرهم بالله إن نفعت الذكرى، ويستر
عليهم، ويدفع عنهم الشكوك ، ويزيل عنهم الشبهات، ويحذرهم من الشهوات،
يفعل معهم ما أمره الله به، ويدبر ويتعد إذا كان من وراء الاقتراب فتنة تلحقه
فى دينه وبلية تنزل بالمسلمين.

والله المستعان ، وله الفضل من قبل ومن بعد.

(٣) شعف الجبال : رؤوس الجبال.

(٤) مواقع القطر: بطون الاودية.

(٥) أخرجه البخارى (حديث ١٩) من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه مرفوعاً.

حذيفة رضي الله عنه وفيه : «... ولقد أتى على زمان ، ولا أبالي أيكم بايعت ، لئن كان مسلماً رده على الإسلام ، ولئن كان كتابياً رده على ساعيه ، أما اليوم ، فما كنت أباع إلا فلاناً وفلاناً»^(١).

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وفيه : قيل : يا رسول الله ! أيُّ الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ : «مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله» ، قالوا : ثم من؟ قال : «مؤمن في شعب من الشعاب يتقى الله ويدع الناس من شره»^(٢).

وغير ذلك من الأحاديث التي على هذا النمط ، وكذلك جملة من الآثار عن السلف - رحمهم الله - فيبني عليها منهجاً يعتزل على إثره الناس ، ويستدل لذلك أيضاً بأحاديث كحديث «من صمت نجاً»^(٣) وغيره من الأحاديث.

ويترك التعلم وتعليم الناس ونصحهم في الله وزيارتهم فيه والإصلاح بين الناس ، واتباع جنائزهم ، وعيادة مرضاهم ، وينسى حديث رسول الله ﷺ : «المسلم إذا كان مخالطاً للناس ويصبر على أذاهم خيرٌ من المسلم الذي لا يُخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٧٠٨٧) ، ومسلم (١٤٣) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٨٦) ، ومسلم (١٨٨٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) أخرجه عبد بن حميد في المنتخب (بتحقيق ٣٤٥) ، وأحمد (١٥٨/٣ - ١٧٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه مرفوعاً ، وإسناده حسن.

(٤) صحيح أخرجه الترمذي (٢٥٠٧) ، وأحمد (٣٦٥/٥) ، والبخاري في الأدب المفرد (٣٨٨) ، وابن ماجه (٤٠٣٢) من حديث شيخ من أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ.

وينسى قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢] والآيات والأحاديث والآثار التي على هذا النمط .

والفقيه الموفق الملهم المسدد من يوفقه الله لتنزيل الأحاديث منازلها ، متى يعتزل الناس ، ومتى يقترب منهم ، ومتى يعظمهم ويذكرهم ، ومتى يتجنب الموعظة ، ومتى يتكلم ، ومتى يصمت . . وهكذا يهدي الله من يشاء من عباده ، ويجتبي من يشاء من خلقه .

■ وهذا مبحث في العزلة والاختلاط «وبعض أقوال العلماء في

ذلك» ■

● ذكر الخطابي في كتاب العزلة (كما نقل عنه الحافظ في الفتح ٣٣٣/١١) أن العزلة والاختلاط يختلفان باختلاف متعلقاتهما، فتحمل الأدلة الواردة في الحض على الاجتماع على ما يتعلق بطاعة الأئمة، وأمور الدين، وعكسها في عكسه، وأما الاجتماع والافتراق بالأبدان، فمن عرف الاكتفاء بنفسه في حق معاشه ، ومحافظة دينه ، فالأولى له الانكفاف عن مخالطة الناس، بشرط أن يحافظ على الجماعة ، والسلام، والرد، وحقوق المسلمين من العيادة ، وشهود الجنازة، ونحو ذلك، والمطلوب إنما هو ترك فضول الصحبة، لما في ذلك من شغل البال وتضييع الوقت عن المهمات، ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلى الغذاء والعشاء ، فيقتصر منه على ما لا بد له منه فهو أروح للبدن والقلب ، والله أعلم .

● وقال القشيري في الرسالة: طريق من أثر العزلة أن يعتقد سلامة الناس من شره لا العكس، فإن الأول ينتجه استصغاره نفسه، وهي صفة المتواضع، والثاني شهوده مزية له على غيره، وهذه صفة المتكبر.

● وقال الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١٣/٤٢): وقد اختلف السلف في أصل العزلة، فقال الجمهور: الاختلاط أولى، لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية، للقيام بشعائر الإسلام، وتكثير سواد المسلمين، وإيصال أنواع الخير إليهم من إعانة، وإغاثة، وعيادة، وغير ذلك، وقال قوم: العزلة أولى؛ لتحقيق السلامة بشرط معرفة ما يتعين.

● وقال النووي: المختار تفضيل المخالطة لمن لا يغلب على ظنه أنه يقع في معصية، فإن أشكل الأمر فالعزلة أولى، وقال غيره: يختلف باختلاف الأحوال، فإن تعارضا اختلف باختلاف الأوقات، فمن يتحتم عليه المخالطة من كانت له قدرة على إزالة المنكر، فيجب عليه إما عيناً، وإما كفاية، بحسب الحال والإمكان، ومن يترجح من يغلب على ظنه أنه يسلم في نفسه إذا قام في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومن يستوى من يأمن على نفسه، ولكنه يتحقق أنه لا يطاع، وهذا حيث لا يكون هناك فتنة عامة، فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة، لما ينشأ فيها غالباً من الوقوع في المحذور، وقد تقع العقوبة بأصحاب الفتنة، فتعم من ليس من أهلها، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾. [الأنفال: ٢٥]

.. هذا وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (كما في

مجموع الفتاوى ١٠/٤٢٥) هل الأفضل للسالك العزلة أو الخلطة؟

فأجاب :

هذه المسألة وإن كان الناس يتنازعون فيها، إما نزاعاً كلياً ، وإما حالياً ، فحقيقة الأمر أن (الخلطة) تارة تكون واجبة أو مستحبة، والشخص الواحد قد يكون مأموراً بالمخالطة تارة وبالانفراد تارة، وجماع ذلك أن «المخالطة» إن كان فيها تعاون على البر والتقوى، فهي مأمور بها، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان ، فهي منهي عنها، فالاختلاط بالمسلمين في جنس العبادات كالصلوات الخمس، والجمعة ، والعيدين، وصلاة الكسوف، والاستسقاء، ونحو ذلك ، هو مما أمر الله به ورسوله .

وكذلك الاختلاط بهم في الحج ، وفي غزو الكفار والخوارج المارقين، وإن كان أئمة ذلك فجاراً، وإن كان في تلك الجماعات فجار، وكذلك الاجتماع الذي يزداد العبد به إيماناً ، إما لانتفاعه به، وإما لنفعه له، ونحو ذلك .

ولابد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه، وذكره، وصلاته، وتفكره، ومحاسبة نفسه ، وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره، فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه، إما في بيته - كما قال طاووس : نعم صومعة الرجل بيته، يكف فيها بصره ولسانه - وإما في غير بيته .

فاختيار المخالطة مطلقاً خطأ، واختيار الانفراد مطلقاً خطأ، وأما

مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا وهذا، وما هو الأصلح له في كل حال، فهذا يحتاج إلى نظر خاص كما تقدم.

❑ وفي مجال التقرب إلى الله بالأعمال ❑

يسلك الناس في ذلك مسالك شتى:

فمن الناس من يجنح إلى أشق الأعمال وأصعبها، وينكب عليها، ويرى أن الأجر على قدر المشقة والنصب، ويرون أن النفوس تروض بذلك، ويستدلون لذلك بآيات وأحاديث. أما الآيات:

فكقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ .

[آل عمران: ١١٥]

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧). [الزلزلة: ٧]
إلى غير ذلك.

وأما الأحاديث ، فيستدلون بحديث عائشة رضي الله عنها لما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم بشأن الحج : «أجرك على قدر نصبك»^(١). وغير ذلك.

فيشملون عن ساعد الجد ، ويقبلون على الأعمال باجتهاد شديد ، ويهملون حق النفس ، وحق الأهل و . . . ثم سرعان ما يفترون

(١) أخرجه البخاري (١٧٨٧) ، ومسلم (ص ٨٧٧) من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله يصدر الناس بنسكين وأصدر بنسك؟ ف قيل لها: انتظري فإذا ظهرت فاخرجي إلى التنعيم، فأهلى ثم اتينا بمكان كذا، ولكنها على قدر نفقتك أو نصبك».

وتتهاوى عزائمهم ، ولا يخفى في هذا الباب قول النبي ﷺ للثلاثة نفر الذين تقالوا عبادة رسول الله ﷺ ، وقال أحدهم : أما أنا فأصوم ولا أفطر ، وقال الآخر أما أنا فأقوم ولا أنام ، وقال الثالث : أما أنا فلا أتزوج النساء ، فقال لهم النبي ﷺ : «أما إن أخشاكم وأتقاكم لله أنا ، ولكني أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(١).

وفي الباب قول النبي ﷺ لما ذكروا له الحولاء بنت تويت وقالوا : إنها تقوم الليل ، و . . ، فقال ﷺ : «مه عليكم من الأعمال ما تطيقون ، فوالله إن الله لا يمل حتى تملاوا»^(٢).

ورأى النبي ﷺ حبلاً في المسجد فسأل عنه فقالوا : هذا حبل لزينب

(١) أخرج البخاري (٥٠٦٣) ، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك - واللفظ للبخاري - قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلي الليل أبداً ، وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء ، فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : «أنتم الذين قلتم كذا وكذا .. أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

(٢) أخرج البخاري (٤٣ و ١١٥١) ، ومسلم (٧٨٥) من حديث عائشة بنت أبي بكر - قالوا : بنت تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى - قالت : هذه الحولاء بنت تويت ، وزعموا أنها لا تنام الليل ، فقال رسول الله ﷺ : «لا تنام الليل؟! خذوا من العمل ما تطيقون فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا» اللفظ لمسلم ، وفي رواية في الصحيحين : «فإن الله لا يمل حتى تملاوا».

تقوم تصلى ، فإذا فترت تعلقت به ، فقال النبي ﷺ : «حُلُّوهُ لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ»^(١) إلى غير ذلك .

□ القسم الثاني □

قسم رأوا التجرد من الدنيا ، والزهد فيها ، والإقبال على النفس ، وتهذيبها ، والبعد عن الناس وعن الاختلاط بهم ، واستدل لهم بالأحاديث التي وردت في أبواب الفتن واعتزال الناس .

□ والقسم الثالث □

قال فيهم ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم ص ٧٧):

رأوا أنفع العبادات وأفضلها ما كان فيه نفع متعدٍ ، فأروه أفضل من ذى النفع القاصر ، فأروا خدمة الفقراء ، والاشتغال بمصالح الناس ، وقضاء حوائجهم ، ومساعدتهم بالمال والجاه ، والنفع أفضل ، فتصدوا له وعولوا عليه ، واحتجوا بقول النبي ﷺ : «الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله»^(٢) . رواه أبو يعلى .

واحتجوا بأن عمل العابد قاصر على نفسه ، وعمل النافع متعدٍ إلى الغير ، وأين أحدهما من الآخر؟!

(١) أخرج البخارى (١١٥٠) ، ومسلم (٧٨٤) من حديث أنس رضي الله عنه قال : دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين ساريتين فقال : «ما هذا الحبل؟» قالوا : هذا حبل لزنب ، فإذا فترت تعلقت ، فقال النبي ﷺ : «لا ، حُلُّوهُ لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ ، فإذا فتر فليقع» .

(٢) حكم عليه الشيخ ناصر الالبانى - فى ضعيف الجامع - بأنه ضعيف جداً .

قالوا: ولهذا كان فضل العالم على العابد ، كفضل القمر على سائر الكواكب .

قالوا: وقد قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»^(١) وهذا التفضيل للنفع المتعدى، واحتجوا بقوله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له أجر مثل أجور من اتبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شيء»^(٢)، واحتجوا بقوله ﷺ: «إن الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير»^(٣)، وبقوله ﷺ: «إن العالم ليستغفر له من في السموات ، ومن

(١) أخرجه البخاري (٤٢١٠) ، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: «أرسلوا إليه»، فأتى به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ، ودعا له فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية ، فقال عليٌّ: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم» .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» .

(٣) أخرج الطبراني في الكبير (٢٧٨/٨) من طريق يعقوب بن حميد ثنا سلمة بن رجاء

في الأرض حتى الحيتان في البحر ، والنملة في جحرها»^(١).

واحتجوا بأن صاحب العبادة إذا مات انقطع عمله ، وصاحب النفع لا ينقطع عمله ، مادام نفعه الذي نسب إليه .

واحتجوا بأن الأنبياء إنما بعثوا بالإحسان إلى الخلق ، وهدايتهم ونفعهم في معاشهم ومعادهم ، ولم يبعثوا بالخلوات والانقطاع عن الناس والترهب ، ولهذا أنكر النبي ﷺ على أولئك النفر الذين هموا بالانقطاع للتعبد ، وترك مخالطة الناس ، ورأى هؤلاء التفرق في أمر الله ونفع عباده والإحسان إليهم أفضل من الجمعية عليه بدون ذلك .

□ القسم الرابع □

قالوا: إن أفضل العبادة العمل على مرضاة الرب في كل وقت ، بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته .

فأفضل العبادات في وقت الجهاد الجهاد ، وإن آل إلى ترك الأوراد

عن الوليد بن جميل عن القاسم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله وملائكته حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير» .

وكل رجال الإسناد البارزين (يعقوب وسلمة والوليد والقاسم) متكلم فيهم ، صحيح أنه قد يخلص الشخص إلى تحسين إسناد فيه أحدهم ، إلا أنه لما تكلم في أربعتهم وإتيانهم بالغرائب فالنفس لا تنشط ولا تطمئن لتصحيح الحديث الذي اجتمعوا في إسناده كهذا ، والله أعلم .

(١) ضعيف ، وانظره مع الكلام عليه في كتابي : (التسهيل لتأويل التنزيل «تفسير سورة البقرة ١ / ٦٩»).

من صلاة الليل وصيام النهار، بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن.

والأفضل في وقت حضور الضيف مثلاً القيام بحقه والاشتغال به عن الورد المستحب، وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل.

والأفضل في أوقات السحر الاشتغال بالصلاة والدعاء والذكر والاستغفار.

والأفضل في وقت استرشاد الطالب، وتعليم الجاهل الإقبال على تعليمه والاشتغال به.

والأفضل في أوقات الأذان ترك ما هو فيه من ورده والاشتغال بإجابة المؤذن.

والأفضل في أوقات الصلوات الخمس الجِد والنصح في إيقاعها على أكمل الوجوه والمبادرة إليها في أول الوقت، والخروج إلى الجامع، وإن بعد كان أفضل.

والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاء أو البدن، أو المال، الاشتغال بمساعدته، وإغاثته لهفته، وإيثار ذلك على أورادك وخلوتك.

والأفضل في وقت قراءة القرآن جمعية القلب والهمة على تدبره وتفهمه؛ حتى كأن الله تعالى يخاطبك به، فتجمع قلبك على فهمه وتدبره، والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك.

والأفضل في وقت الوقوف بعرفة الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر دون الصوم المضعف عن ذلك .

والأفضل في أيام عشر ذى الحجة الإكثار من التعبد لاسيما التكبير والتهليل والتحميد ، هو أفضل من المجاهد غير المتعين .

والأفضل في العشر الأخير من رمضان لزوم المسجد فيه ، والخلو والاعتكاف ، دون التصدى لمخالطة الناس والاشتغال بهم ، حتى إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم وإقراءهم القرآن عند كثير من العلماء .

والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته عيادته وحضور جنازته ، وتشيعه وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك .

والأفضل في وقت نزول النوازل وأذاة الناس لك أداء واجب الصبر مع خلطتك بهم دون الهرب منهم ، فإن المؤمن الذي يخالط الناس ليصبر على أذاهم ، أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يؤذونه ، والأفضل خلطتهم في الخير ، فهي خير من عزلتهم فيه ، وعزلتهم في الشر فهي أفضل من خلطتهم فيه ، فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله أو قلله فخلطتهم حينئذ أفضل من عزلتهم .

والأفضل في كل وقت وحال إثارة مرضاة الله في ذلك الوقت والحال والاشتغال بواجب ذلك الوقت والحال ووظيفته ومقتضاه ، وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق ، والأصناف قبلهم أهل التعبد المقيد ، فمتي خرج أحدهم عن النوع الذي تعلق به ، وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقض وترك

عبادته، فهو يعبد الله على وجه واحد، وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره، بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى أين كانت، فمدار تعبده عليها، فهو لا يزال متنقلاً في منازل العبودية كلما رفعت له منزلة عمل على سيره إليها واشتغل بها، حتى تلوح له منزلة أخرى، فهذا دأبه في السير حتى ينتهي سيره، فإذا رأيت العلماء رأيته معهم، وإن رأيت العباد رأيته معهم، وإن رأيت المجاهدين رأيته معهم، وإن رأيت الذاكرين رأيته معهم، وإن رأيت المتصدقين المحسنين رأيته معهم، وإن رأيت أرباب الجمعية، وعكوف القلب على الله رأيته معهم، فهذا هو العبد المطلق الذي لم تملكه الرسوم، ولم تقيدته القيود، ولم يكن عمله على مراد نفسه وما فيه لذتها وراحتها من العبادات، بل هو على مراد ربه، ولو كانت راحة نفسه ولذتها في سواه، فهذا هو المتحقق بإياك نعبد وإياك نستعين، حقاً القائم بها صدقاً، ملبسه ما تهيأ ومأكله ما تيسر، واشتغاله بما أمر به في كل وقت وبوقته ومجلسه حيث انتهى ووجده خالياً، لا تملكه إشارة، ولا يتعبد به قيد، ولا يستولى عليه رسم، حرٌّ مجردٌ دائرٌ مع الأمر حيث دار، يدين بدين الأمر أنى توجهت ركائبه، ويدور معه حيث استقلت مضاربه، يأنس به كل محق، ويستوحش منه كل مبطل، كالغيث حيث وقع نفع، وكالنخلة لا يسقط ورقها، وكلها منفعة حتى شوكها، وهو موضع الغلظة منه على المخالفين لأمر الله، والغضب إذا انتهكت محارم الله، فهو لله وبالله ومع الله، قد صحب الله بلا خلق، وصحب الناس بلا نفس، بل إذا كان مع الله عزل الخلائق من البين، وتخلي عنهم، وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من

الوسط ، وتخلي عنها ، فواهاً له ، ما أغربه بين الناس ، وما أشد وحشته منهم ، وما أعظم أنسه بالله ، وفرحه به ، وطمأنينته وسكونه إليه ، والله المستعان ، وعليه التكلان .

إلحاق (قال مصطفى) : جزي الله ابن القيم خير الجزاء ، فما أروع هذا الكلام ، وما أحسنه ، وما أجمله ، وما أسده ، وياحبذا لو عمل به المسلم ، ياحبذا إذا اجتمعت في المسلم خصال الخير ، ياحبذا إذا نودي من كل أبواب الجنة : يا عبد الله هلم هذا خير ، ياحبذا إذا دعت خزنتها من كل باب : سلام عليك طبت فادخلها من الخالدين ، ياله من فضل إذا شُفع في سبعين من أهل بيته ، ووضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، وكُسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا ، وأُجير من الفزع الأكبر ، وزُوِّج اثنتين وسبعين من حور العين ، وغفر له عند أول دفعة من دمه ، وجاء ريح دمه كريح المسك ، ورأى مقعده من الجنة ، وسرحت روحه في حواصل الطيور الخضراء من الجنة حيث شاءت ، ياله من فضل إذا حشر مع العلماء في الدرجات العلى ، والنعيم المقيم ، يتقدمه معاذ بن جبل الصحابي العالم الجليل ، ما أروع إذا ادخرت له الجبال من الأجر لشهوده الجنائزات ، ما أجمله إذا غرس له النخيل لقوله : لا إله إلا الله أو سبحان الله !! وما أسعده إذا خبئت له الكنوز لقوله : لا حول ولا قوة إلا بالله !!

يالها من سعادة إذا قيل له : اقرأ ، وارتق ، ورتل فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها .

هل بعدها سعادة أن يكون حاملاً للكتاب كله عاملاً به، ترى إلى أين يرتقى .

ما أجمله إذا جاء مع الغر المحجلين من آثار الوضوء!!

ما أطيبه إذا جاء خلوف فمه أطيب من ريح المسك!!

ما أهنأه إذا جاءت صورته على صورة القمر ليلة البدر!!

ما أسعده إذا زفت له الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء اللحم والحسن!!

كيف به إذا جاء له القرآن شفيعاً؟! كيف هو إذا جاءت البقرة وآل عمران غمامتان أو غيايتان تحاجان عنه!!

كيف هو والحجر الأسود يشهد له بأن استلمه بحق!!

كيف والصدقة اليسيرة التي تصدق بها قد رباها الله فقد جاءت كالجبل العظيم!!

ها هو العمل الصالح يأتيه في صورة رجل حسن الوجه في القبر يقول له: أنا عملك!

ياله من فضل حينما يأتي نضر الوجه لحفظه سنة رسول الله ﷺ!

ما أحسنها من نجاة إذا وقى الشخص شر يوم القيامة ولقاء الله نضرة وسروراً وجزاه بما صبر جنة وحريراً!!

ما أعظمها من نجاة إذا أظل الله المؤمن الذي نشأ في عبادة الله معلق القلب بالمساجد، الورع التقى المتصدق في ظله يوم لا ظل إلا ظله!!

أى نعيم فوق التمتع بلذة النظر إلى وجه الله تعالى؟!؟

أى فوز فوق مجئ الشخص يوم القيامة من السابقين المقربين؟!؟

أى نعيم فوق حلول رضوان الله عليه فلا يسخط عليه ربه بعد ذلك

أبدأ؟!؟

ما أسعده من أوتى هذا كله ورضى الله عنه وأرضاه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، نسأل الله أن يتفضل علينا بهذا الفضل، ويمن علينا به ويزيدنا من المزيد الذى لا يعلمه إلا هو، ويلقينا من الخير ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، إن ربى لسميع الدعاء، واسع العطاء غفور رحيم.

ما أسعده أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين يدعى من أبواب الجنة جميعها.

من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر: أنا.

من عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا.

من شهد منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا.

من أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر: أنا.

جزى الله أبا بكر خيراً، اجتمعت فيه جُلُّ خصال الخير رضي الله عنه.

ولكن كما قال النبي ﷺ: «الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيه

راحلة»، فقليل من الناس من تجتمع فيه خصال الخير، لكن لا يزال

بعضهم على ثغرٍ من الثغور.

فهذا عالم بالفرائض كزيد بن ثابت رضي الله عنه.

- وهذا عالم بالقضاء كعلي بن أبي طالب عليه السلام .
- وهذا عالم بالقراءات كأبي بن كعب رضي الله عنه .
- وهذا عالم بسياسة الناس كعمر بن الخطاب رضي الله عنه .
- وهذا عالم بالتفسير كابن مسعود رضي الله عنه .
- وهذا حافظ لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله كأبي هريرة ، وابن عمرو ، وعائشة رضي الله عنهم .
- وهذا عالم بفنون الحرب ، وشئون القتال وفن النزال كخالد بن الوليد ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه .
- هذا عالم من العلماء كمعاذ بن جبل رضي الله عنه .
- هذا حبرٌ من الأخبار كابن عباس رضي الله عنه .
- هذا كريم كعدى بن حاتم ، وسعد بن عباد رضي الله عنهم .
- هذا رحيم أسيف ، رقيق القلب ، عالم بالأنساب ، كأبي بكر الصديق رضي الله عنه .
- هذا مصعب بن عمير الشهيد المتقلل من الدنيا رضي الله عنه .
- هذا الراغب في الآخرة عمير بن الحمام رضي الله عنه .
- هذا ذو اللهجة الصادقة كأبي ذر رضي الله عنه .
- وهذا الحمي كعثمان رضي الله عنه .
- هذا شاعر كحسان ، وابن رواحة رضي الله عنهم .

هذا بطل مغوار كجعفر الطيار ، وحمزة أسد الله ﷺ .

هذا الحب وابن الحب أسامة ، هذا .. وهذا .. وهذا

رحم الله جميعهم ، والبسمم الحلل ، وأظلمهم في الظل ،
وأسكنهم الغرف .

فلا يمتنع أن يكون هناك تخصص ، ولكن ليكن للمسلم من كل خير نصيب ، ومن كل طعام مذاق ، ومن كل كأس جرعة ، فلا يمتنع أن يُغير العالم والعابد قدمه في سبيل الله ، ولا يمتنع المجاهد أن يتفقه في الدين ، ويجشو بين يدي العلماء ، ولا يمتنع العالم من عيادة مرضى المسلمين ، واتباع جنازتهم ، وحل مشاكلهم ، والإصلاح بينهم ... و .

زادنا الله والمسلمين من كل خير ، وألحقنا الله بالنبين والصديقين
والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

وهكذا في سائر الأبواب ، وشتى المجالات ، يلزم أن تجمع النصوص من الكتاب والسنة ، ثم الآثار عن السلف رحمهم الله ، ونعرف أين تنزل هذا النص ، وما هو موقع ذاك .

فنهيب بإخواننا الذين سلكوا طريق الفقه في الدين فضلاً عن عوام المسلمين أن يدخلوا في السلم كافة ، ويعملوا بمجمل الأدلة ، وينظروا الأحوال والأوقات والملابسات ويتخيروا المناسب لها من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وأن يترثوا في إصدار الأحكام حتى يرجعوا إلى الكتاب والسنة ثم أقوال سلف الأمة - رحمهم الله تعالى - .

نهتف بهم أن يجمعوا كما من كتاب ربهم في صدورهم ، وكما

من أحاديث نبيهم في أفئدتهم ، ثم أقوالاً للسلف رحمة الله عليهم -
عموم السلف الصالح - ويدعون ربهم أن يوفقهم للفقهاء في الدين
وإخلاص العمل لله رب العالمين .

جمع روايات الحديث الواحد

فكما أنه يلزم أن تجمع النصوص في كل مسألة، يلزم أيضاً أن تجمع طرق الحديث الواحد، وينظر إلى أسانيده ، وألفاظه، وما هو الإسناد السالم من العلل، وما هو اللفظ الصحيح المقبول ، وما هو اللفظ المرجوح ، أو الضعيف المردود.

فإذا عمدنا مثلاً إلى حديث أخرجه ابن ماجه^(١) من طريق أبي بكر ابن أبي شيبة، ثنا عبدالله بن إدريس عن عاصم^(٢)، عن أبي بردة، عن عليّ قال: نهاني رسول الله ﷺ أن أتختم في هذه ، وفي هذه ، يعني الخنصر والإبهام.

فإذا نظرنا في هذا الحديث وجدناه حسناً ، لكن إذا جمعنا طريقه نرى أن جماهير الرواة روه عن عاصم^(٣) بن كليب عن أبي بردة عن عليّ قال: نهاني رسول الله ﷺ أن أتختم في هذه وهذه للسبابة أو الوسطى^(٣)، وفي بعض الروايات بالشك. من هؤلاء الرواة الذين روهوا

(١) ابن ماجه (حديث ٣٦٤٨).

(٢) وهو ابن كليب.

(٣) في بعض الروايات : إلى السبابة أو الوسطى، وفي بعضها في الوسطى والتي تليها، وفي بعضها السبابة والوسطى، أما رواية الخنصر والإبهام فهي مردودة ولا شك. وهذا النهي إنما هو للرجال، أما النساء فقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أنهن يتختمن حيث شئن، وما يوبد ما ذهبوا إليه قوله تعالى في شأن النساء: ﴿أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ [الزخرف: ١٨].

الحديث عن عاصم - مخالفيين عبدالله بن إدريس - وذكروا السبابة والوسطى : أبو الأحوص وبشر بن المفضل ، وسفيان ، وشعبة ، وعلى ابن عاصم ، ومحمد بن فضيل ، وأبو عوانة وغيرهم .

فلا شك أن النهي عن التختيم في الخنصر والإبهام غلط ، والرواية بذكره ضعيفة ، والناظر في هذا الإسناد أيضاً يرى جماهير الرواة روى هذا الحديث عن عاصم بن كليب عن أبي بردة عن علي . . فيتبين للناظر خطأ الرواية المروية في مسند أحمد (٧٨/١) من طريق محمد بن فضيل عن عاصم بن كليب عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبي موسى عن علي . . وهكذا فكما قال القائل : «والحديث إذا لم تجمع طرقه لم تتبين علله» .

البحث عن الدليل قبل الخوض في الأقيسة والاجتهادات

فقد يصول الشخص ويجول بعقله وبرأيه عند خفاء الدليل عليه فيخطأ في الفتيا، ولنذكر لذلك مثلاً، ألا وهو :

مسألة المرأة التي عقد عليها رجل ، ومات ، ولم يدخل بها، هل تعتد؟ وهل ترث؟ وهل تأخذ مهرها كاملاً، أم تأخذ نصف الصداق؟

فقد يستعمل بعض العلماء القياس في شأنها، وقيسوا أمرها على امرأة طلقت قبل المسيس، فيجانبوا الصواب، إذ قد ورد في هذه المسألة بعينها دليل: أخرج الإمام أحمد بإسناد صحيح^(١) ، من حديث ابن مسعود في امرأة تزوجها رجل ثم مات عنها ، ولم يفرض لها صداقاً ، ولم يكن دخل بها، قال: فاختلفوا إليه فقال: أرى لها مثل صداق نسائها، ولها الميراث، وعليها العدة، فشهد معقل بن سنان الأشجعي أن النبي ﷺ قضى في بروع ابنة واشق بمثل ما قضى .

(١) أحمد في المسند (٣ / ٤٨٠) ، وأخرجه أبو داود (٥ / ٢١١٤) ، والترمذي (١١٤٥) ، والنسائي (٦ / ١٢١ - ١٢٢) ، وابن ماجه (١٨٩١) .

النظر في الحديث بطوله وفي الروايات مجتمعة

فإن ترك مثل هذا الاعتبار يوقع الشخص في خلل كبير وتخطئ خطير .

كالذي يعتمد إلى حديث فيه أن رسول الله ﷺ نهى علياً أن يتزوج بنت أبي جهل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فيبنى على هذا حكماً فحواه منع تعدد الزوجات إلا بإذن الزوجة الأولى أو أوليائها، ويغفل عما ورد في نفس الحديث: «إني لا أحل حراماً ولا أحرم حلالاً، ولكن لا تجتمع بنت نبي الله مع بنت عدو الله عند رجل واحد»^(١).

وينسى الآيات الواردة في ذلك: ﴿... فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ...﴾ . [النساء: ٣]

وكالذي يعتمد إلى أحاديث المناهى المختصرة، فيبنى عليها مباشرة

(١) أخرج البخارى (٣٩٢٩) ، ومسلم (٢٤٤٩) من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: إن علياً خطب بنت أبي جهل فسمعت بذلك فاطمة فأتت رسول الله ﷺ ، فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا على ناكح بنت أبى جهل، فقام رسول الله ﷺ فسمعت حين تشهد يقول: «أما بعد، أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله عند رجل واحد» فترك على الخطبة.

بدون النظر إلى فقها ، وطرقها ، كمن يعتمد إلى حديث نهى عن أكل البصل^(١) .

- وحديث نهى عن أكل الكراث^(٢) .
- وحديث نهى عن التختم بالذهب^(٣) .
- وحديث نهى عن النذر^(٤) .
- وحديث نهى عن النعى^(٥) .
- وحديث نهى عن سب الأموات^(٦) .

(١) أخرج مسلم (٥٦٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل البصل والكراث ، فغلبتنا الحاجة فأكلنا منها ، فقال: «من أكل من هذه الشجرة المتنة فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تأذى مما يتأذى منه الإنسان» .

(٢) أخرج البخاري (١٢٣٩) ، ومسلم (٢٠٦٦) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ، ونهانا عن سبع . . . ونهانا عن خواتيم الذهب ، أو عن تختم بالذهب .

(٤) أخرجه البخاري (٦٦٩٣) ، ومسلم (١٦٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنه .

(٥) هذا الحديث الراجح لدى الآن أنه ضعيف ، وقد صححه بعض العلماء ، وكنت قد وافقتهم من قبل ، لكن بدا لي الآن ضعفه ، فقد أخرجه أحمد (٣٨٥/٥) ، وابن ماجه (٤٧٤/١) من طريق حبيب بن سليم عن بلال بن يحيى قال: كان حذيفة إذا مات له ميت ، قال: لا تؤذوا به أحداً ، إني أخاف أن يكون نعيًا ، وإني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن النعى .

وفى هذا الإسناد حبيب بن سليم حديثه لا يرتقى للحسن ، وكذلك رواية بلال بن يحيى عن حذيفة مرسله ، والله أعلم .

(٦) أخرج البخاري (١٣٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا» .

● وحديث نهى عن صوم يوم الجمعة^(١).

● وحديث نهى عن الكى^(٢).

● وحديث نهى عن كراء المزارع^(٣).

وغير ذلك من أحاديث المناهى فيعمد الشخص إليها ، ويبنى عليها الأحكام مباشرة؛ فيقع فى خلل كبير ، فكل نهى من هذه المذكورات له فقهه الخاص به ، وملابساته المحيطة به .

(١) أخرجه البخارى (١٩٨٤) ، ومسلم (١١٤٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه (وقد سئل وهو يطوف بالبيت أنهى رسول الله ﷺ عن صيام يوم الجمعة؟ قال: نعم ورب هذا البيت).

(٢) أخرجه البخارى (٥٦٨١) من حديث ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) أخرجه البخارى (٢٣٤٤) ، ومسلم (ص ١١٨٠) عن رافع بن خديج عن عمه مرفوعاً.

تفاوت المناهى فى الدرجات

فليست كل الأمور التى نهى عنها النبى ﷺ فى درجة واحدة..
وكذلك الأوامر.

فهناك نواهى للتحريم، ونواهى للتنزيه، ونواهى مقيدة بقيد، وليس
نهي ﷺ عن قول الزور فى قوله: «ألا وقول الزور» كنهيه ﷺ عن أكل
البصل، وكنهيه ﷺ عن الجلوس فى الطرقات.

وقد قالت أم عطية رضي الله عنها «نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا»^(١).
أى لم يشدد علينا فى النهى.

(١) أخرجه البخارى (١٢٧٨) ، ومسلم (٩٣٨).

إمعان النظر في الدليل

وهل يفيد وجوباً أو تحريماً أو كراهية أو استحباباً أو إباحة؟

كمثال لذلك سترة الجدران، والحكم فيها.

مثال ذلك قول رسول الله ﷺ : «إن الله لم يأمرنا أن نكسوا الحجارة والطين»^(١).

فقد يستدل به مستدل على تحريم كسوة الجدران، وفي الحقيقة أن الأمر ليس كذلك، فقوله «ما أمرنا» لا يعادل «نهينا».

ومن ثم قال النووي - رحمه الله تعالى - : استدلو به على أنه يمنع من ستر الحيطان وتنجيد البيوت بالثياب، وهو منع كراهة تنزيه لا تحريم، هذا هو الصحيح، وقال الشيخ أبو نصر المقدسي من أصحابنا: هو حرام، وليس في هذا الحديث ما يقتضي تحريمه ؛ لأن حقيقة اللفظ أن الله لم يأمرنا بذلك، وهذا يقتضي أنه ليس بواجب ولا مندوب ولا يقتضي التحريم، والله أعلم.

(١) وذلك في حديث أخرجه مسلم (٢١٠٧) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت - تعنى رسول الله ﷺ - خرج في غزاته فأخذت ثمطا فسترته على الباب ، فلما قدم فرأى النمط ، عرفت الكراهية في وجهه، فجذبه حتى هتكه أو قطعه، وقال: «إن الله لم يأمرنا أن نكسوا الحجارة والطين» قالت: فقطعنا منه وسادتين وحشوتهما ليقا، فلم يعب ذلك على.

إمعان النظر في ألفاظ الحديث

فقد يتجاوز شخص ويروى الحديث بالمعنى ، ويغير لفظاً إلى لفظ آخر، فيرد الخلل في الأحكام الفقهية، وكمثال لذلك: حديث ابن مسعود رضي الله عنه لما سأل النبي ﷺ أى العمل أفضل يا رسول الله؟ قال: الصلاة على وقتها^(١).. فقد يروى شخص الحديث بلفظ الصلاة فى أول وقتها^(٢)، فعليه يخطأ فى مواطن، فصلاة الظهر فى اليوم الحار يستحب الإبراد بها^(٣)، وصلاة العشاء يستحب تأخيرها^(٤) حتى يجتمع الناس، وصلاة الصبح قال فيها النبي ﷺ: أسفروا بالصبح فإنه أعظم للأجر.

● وقد يكون الحديث مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ بلفظ ما ، ويرويه بعض الرواة ، ويلحق به كلاماً من كلامه، وفقرة من فقراته - كتفسير

(١) البخارى (حديث ٥٢٧)، ومسلم (حديث ٨٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) أخرجه الدارقطنى (١/٢٤٦)، والحاكم فى المستدرک (١/١٨٩)، وهو ضعيف، وقد بينا ضعفه فى كتابنا : «بواقيت الفلاة فى مواقيت الصلاة».

(٣) أخرج البخارى (حديث ٥٣٣ و ٥٣٤)، ومسلم (حديث ٦١٥) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم».

(٤) أخر النبي ﷺ صلاة العشاء إلى نصف الليل ثم صلى، قال: «قد صلى الناس وناموا، أما إنكم فى صلاة ما انتظرونها» أخرجه البخارى (٥٧٢)، ومسلم (حديث ٦٤٠)، وفى رواية مسلم: «لولا أن يثقل على أمتى لصليت بهم هذه الساعة»، وعند مسلم (٦٤٣) «كان رسول الله ﷺ يؤخر صلاة العشاء الآخرة».

للحديث عنده مثلاً - والحديث في الأصل بدونها، فينبني على ذلك تغير في الأحكام الفقهية من القول بالاستحباب مثلاً إلى القول بالوجوب ، أو من الانتقال من القول بالكراهية ، إلى القول بالتحريم، ظناً أن هذا التفسير للحديث من قول النبي ﷺ، ولنذكر على ذلك أمثلة نُوزع في الأحكام الفقهية المتعلقة بها بسبب النزاع في فقرة من الحديث ، هل هي من قول النبي ﷺ ، أو من قول من دونه .

□ المثال الأول □

يتعلق بمسألة السجود في الصلاة، هل يجب السجود على الأنف مع الجبهة؟ أم يكفي بالسجود على الجبهة ، ويستحب السجود على الأنف معها؟

والقول في هذا مبني على ما ورد من طريق طاووس عن ابن عباس رضيهما عن النبي ﷺ قال: أمرنا أن نسجد على سبعة أعظم، ولا نكف ثوباً، ولا شعراً^(١)، فهذا الحديث مروى عن طاووس من طريقين^(٢):

إحدهما: طريق عمرو بن دينار عن طاووس عن ابن عباس، باللفظ الذي ذكرناه، وله ألفاظ أخرى قريبة، وفي رواية: «أمر النبي أن يسجد على سبعة أعضاء، ولا يكف ثوباً ولا شعراً: الجبهة واليدين والركبتين والرجلين»^(٣).

(١) البخارى (حديث ٨١٠).

(٢) وثم طريق أخرى ، لكن ما ذكرناه أشهرها، والطرق الأخرى كطريق إبراهيم بن ميسرة عن طاووس عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم، ولا أكف ثوباً ولا شعراً في الصلاة» أخرجهما ابن حبان (٢٥٠/٥).

(٣) البخارى (٨٠٩).

الطريقة الثانية: طريق عبدالله بن طاووس عن أبيه طاووس عن ابن عباس ، وهذه الرواية لها لفظان:

الأول: «أمر النبي ﷺ أن يسجد على سبع ، ونهى أن يكفت الشعر والثياب»^(١).

ولفظ آخر: قال رسول الله ﷺ : «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة - وأشار بيده على أنفه - واليدين ، والركبتين ، وأطراف القدمين، ولا نكفت الثياب والشعر»^(٢).

● فرواية عمرو بن دينار عن طاووس عن ابن عباس عن النبي ﷺ التي فيها أن النبي ﷺ قال : «أمرنا . . » ليس فيها تفسير السبعة أعظم ، أما الرواية التي هي عن ابن عباس أمر النبي ﷺ . . ففى بعض طرقها تفسير السبعة أعظم ، وفى طرق آخر ليس فيها هذا التفسير .

● ورواية عبدالله بن طاووس عن أبيه عن ابن عباس عن النبي ﷺ مرة مختصرة ، بدون تفسير السبعة أعظم ، ومرة مفسرة .

وتفسير الجبهة والإشارة باليد إلى الأنف ، هل من قول رسول الله ﷺ ، أو من قول من دونه؟ فإذا كان التفسير من قول رسول الله ﷺ فبه يثبت وجوب السجود على الأنف مع الجبهة .

وإذا كان ممن هو دون رسول الله ﷺ ، فلقائل أن ينازع فى الوجوب ، فيقول: إن من فسر ، فسر به باجتهاده ، وقد يخطئ فى اجتهاده ، فمن ثم لا يجب السجود على الأنف .

(١) مسلم (١/٣٥٤).

(٢) البخارى حديث (٨١٥).

وقد ورد عند الشافعي في الأم^(١)، من طريق سفيان بن عيينة عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس قال: أمر رسول الله ﷺ أن يسجد منه على سبع: يديه وركبتيه، وأطراف أصابع قدميه، وجبهته، ونهى أن يكف الشعر والثياب، قال سفيان: وزادنا فيه ابن طاووس فوضع يده على جبهته، ثم أمرها على أنفه حتى بلغ طرف أنفه، وكان أبي يعد هذا واحداً.

وفي رواية ابن ماجه^(٢): فكان أبي يقول: اليدين، والركبتين، والقدمين، وكان يعد الجبهة والأنف واحداً.

وعند البيهقي في السنن الكبرى: قال سفيان: إلا أن ابن طاووس أخبرنا أن طاووساً كان يقول بيده على جبهته، وأنفه، وأمر ابن طاووس يده على أنفه وجبهته.

قلت: فاستظهر بعض أهل العلم بذلك لرأيهم، وهو أن التفسير المذكور ليس من تفسير النبي ﷺ، وإنما هو من فعل طاووس أو ولده، ومن ثم فلا يجب السجود على الأنف، إنما هو مستحب فقط، وهذا رأى جمهور العلماء، والله تعالى أعلم.

□ إمعان النظر في المراد بالفاظ الحديث □

وهل هي على معناها العام المشهور؟ أم لها معنى آخر؟
ففي الغالب يُراد بالفاظ الحديث ظواهرها، ومعانيها القريبة المتبادرة إلى الأذهان، ولكن في بعض الأحيان لا يكون ذلك هو المراد، وذلك

(١) الأم : (١/١١٣).

(٢) ابن ماجه حديث (٨٨٤).

كالوارد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) ﴿[الانشقاق: ٨]، وتفسير النبي ﷺ للحساب اليسير بأنه العرض^(١).

وكذلك الوارد في قوله ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وتفسير الظلم بأنه الشرك^(٢)، وكذلك من كتاب الله عز وجل تفسير النسيان في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ [طه: ١٢٦] هل المراد النسيان المعهود؟ أم المراد الترك؟، ترك العمل.

□ والمثبت مقدم على النافي □

فإذا نقل بعض الصحابة عن رسول الله ﷺ مثلاً أنه لم يبل قائماً، ونقل آخرون أنه بال قائماً، فقول من أثبت مقدم على قول من نفى، حيث إن من أثبت معه زيادة علم، وجميعهم عدول ﷺ.

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٩٣٩)، مسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحد يحاسب إلا هلك»، قالت: قلت: يا رسول الله! جعلني الله فداك، أليس يقول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (٧) ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ٨]، قال: «ذاك العرض، يُعرضون، ومن نوقش الحساب عذب».

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٢٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال أصحابه: وأينا لم يظلم؟ فنزلت: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) [لقمان: ١٣].

الحرص على صحة الدليل وسلامته

وهذا أمرٌ في غاية الأهمية بالنسبة لمريد التفقه في الدين، والوقوف على رأى الصواب الصحيح، من الفاسد السقيم، فإذا غفل الشخص عن صحة الدليل وسلامته من التعليل المفسد، وقع في خطأ ولا شك، وجانب الصواب ولا ريب، في أى اتجاه كان، سواءً في التفسير أو في الفقه أو في أصول الفقه، أو في السيرة والحركة، أو في الخطب والمواظ.

فقد تجد مفسراً من المفسرين يفسر آيات من كتاب الله، ويجتهد في تفسيرها غاية الاجتهاد، إلا أنه جانب الصواب بعد هذا الاجتهاد كله، وذلك لأنه بنى تفسيره للآيات على أحاديث ضعيفة أو موضوعة، أو أثرٍ لا يثبت عن قائله.

وقد تجد فقيهاً يصول ويجول في مسألة فقهية، ويحررها، ويحاول قدر جهده الوصول إلى الصواب فيها، ولكنه لا يوفق لأنه بنى رأيه فيها على حديث ضعيف، وهو لا يشعر.

وكذلك بالنسبة لأهل الأصول، قد تجد فيهم أصولياً يؤصل أصلاً لقاعدة من القواعد التي تبنى عليها الأحكام، وتؤسس عليها مسائل من الدين، يؤصلها على حديث ضعيف، فتأتى القاعدة، وما ركب عليها بضرر على الدين أكثر من النفع الذي رجاء مؤسسها ومؤصلها.

وما أكثر هذا في الوعاظ الذين يزعمون أنهم يقربون الناس إلى

ربهم، ولا يشعرون أنهم يكذبون على رسول الله ﷺ، ويقولون عليه ما لم يقل، بل ويكذبون على الله عز وجل، إذ ينسبون إليه ما لا يحصى مما لم يقله سبحانه من الأحاديث القدسية، بعضها فيه الخطأ الصراح، الذى يضاد قواعد أهل السنة والجماعة، وأصول الدين من الكتاب الحكيم، والسنة النبوية المطهرة، فضلا عما فيه من وصف الرب سبحانه بما لم يصف به نفسه، فلا يتعدون بأفعالهم هذه عن الوقوع تحت طائلة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٧).

[الصف: ٧]

أما المؤرخون فحدث ولا حرج، فقد قلَّ فيهم الصالحون، وفشا فيهم الكذب، فزوروا التاريخ، وزيفوا الحقائق، وشوهوا جمال سيرة النبي ﷺ، بما اختلقوه فيها، ونسبوه إليها، فكان علم الحديث الحكم فى ذلك كله، فجزى الله أهله خير الجزاء، فجدير بالمسلم أن يتحرى الصحيح من السقيم أثناء بناء الأحكام، حتى يسلم له بناؤه، والمستعان الله سبحانه.

معرفته ما إذا كان الحديث يُقَعَّدُ قاعدة أو هو واقعة عين

وذلك أن هناك أحاديث تقعد قواعد، وأحاديث واقعة عين، لا يتعدى إلى ما سواها، أو أحاديث يكون العمل عليها باطراد، وأحاديث يجوز العمل بها أحياناً، ولذلك أمثلة تقريبية:

□ في مسألة الطعام مثلاً □

وردت نصوص تفيد جواز الأكل حتى الشبع، كما قال النبي ﷺ لأبي هريرة: «اشرب يا أبا هريرة»، قال: شربت يا رسول الله، قال: «اشرب يا أبا هريرة»، قال: شربت يا رسول الله، قال: «اشرب يا أبا هريرة»، فقال أبو هريرة: والله لا أجِدُ له مسلَكًا يا رسول الله^(١).

(١) أخرج البخاري - رحمه الله - في صحيحه (٦٤٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كان يقول: والله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لاعتمد بكبدى على الأرض من الجوع، وإن كنت لاشد الحجر على بطنى من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذى يخرجون منه فمرَّ أبو بكر فسأله عن آية من كتاب الله، ما سأله إلا ليشبعنى، فمرَّ ولم يفعل، ثم مرَّ بى عمر فسأله عن آية من كتاب الله، ما سأله إلا ليشبعنى، فمرَّ فلم يفعل، ثم مرَّ بى أبو القاسم رضي الله عنه، فتبسم حين رآنى، وعرف ما فى نفسى، وما فى وجهى، ثم قال: «يا أبا هريرة»، قلت: لبيك رسول الله، قال: «الحق»، ومضى فتبعته فدخل فاستأذن، فأذن لى، فدخل فوجد لبنًا فى قدح، فقال: «من أين هذا اللبن؟» قالوا: أهدها لك فلان - أو فلانة - قال: «أبا هريرة»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «الحق إلى أهل الصفة فادعهم لى» =

وكذلك أكل النبي ﷺ وأصحابه عند أبي طلحة ، حتى شبعوا .
إلى غير ذلك مما ورد في هذا الصدد .

فيعمد شخص إلى الإسراف والتبذير والأكل المفرط بناء على هذا .

وفي المقابل يعمد شخص إلى آثار وردت عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يربطون الحجارة على بطونهم من شدة الجوع^(١) ، ويعمد إلى قول رسول الله ﷺ - لبعض أصحابه عندما أكلوا لحمًا - : «لتسئلن عن نعيم هذا اليوم»^(٢) ، وأن النبي ﷺ وبعض أصحابه أكلوا في بعض

ليعمد

= قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لا يأوون على أهل ولا مال ، ولا على أحد ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم ، وأصاب منها وأشركهم فيها ، فسأني ذلك ، فقلت : وما هذا اللبن في أهل الصفة ، كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها ، فإذا جاءوا أمرني فكنت أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بُد ، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم ، وأخذوا مجالسهم من البيت ، قال : «يا أبا هر» قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : «خذ فأعطهم» ، فأخذت القدح ، فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد على القدم ، فأعطيه الرجل ، فيشرب حتى يروى ، ثم يرد على القدح ، فيشرب حتى يروى ، ثم يرد على القدح حتى انتهت إلى النبي ﷺ ، وقد روى القوم كلهم ، فأخذ القدح ، فوضعه على يده فنظر إلى حتى تبسم فقال : «يا أبا هر» ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : «بقيت أنا وأنت» ، قلت : صدقت يا رسول الله ، قال : «اقعد فاشرب» ، فقعدت فشربت ، فقال : «اشرب» فما زال يقول : «اشرب» حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ، ما أجد له مسلکاً ، قال : فأرني فأعطيته القدح فحمد الله وسمى ، وشرب الفضلة .

(١) انظر : الأثر المتقدم .

(٢) أخرج مسلم (٢٠٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ =

أيامهم حتى إن أحدهم ليضع كما تضع الشاة، ليس له خلط^(١).
 فيجوعُ الشخص نفسه بناءً على هذا ، وهو محتجٌ في هذا بأدلة عن رسول الله ﷺ.

لكن المسكين لم يفهم الأمر على وجهه ، فهذا وذاك وقائع أحوال ،
 أما الذى يقعد قاعدة فى هذا الباب فهو حديث رسول الله ﷺ :
 «بحسب ابن آدم أكالات يُقمن صلبه ، وإن كان لا محالة فثلثُ لطفامه ،
 وثلثُ لشرابه ، وثلثُ لنفسه^(٢)» ، ونحوه من العمومات الكثيرة فى هذا
 الباب .

= ذات يوم أو ليلة ، فإذا هو بأبى بكر وعمر ، فقال : «ما أخرجكما من بيوتكما هذه
 الساعة؟» قالوا : الجوع يا رسول الله ، قال : «وأنا والذى نفسى بيده لأخرجنى
 الذى أخرجكما قوموا» فقاموا معه فأتى رجلاً من الانصار ، فإذا هو ليس فى
 بيته ، فلما رآه المرأة ، قالت : مرحباً وأهلاً ، فقال لها رسول الله ﷺ : «أيسن
 فلان؟» قالت : ذهب يستعذب لنا الماء ، إذ جاء الانصارى ، فنظر إلى رسول الله
 ﷺ وصاحبيه ، ثم قال : الحمد لله ، ما أحد اليوم أكرم أضيافاً منى ، قال : فانطلق
 فجاءهم بعذق فيه بُسر ، وتمر ، ورطب ، فقال : كلوا من هذه ، وأخذ المديّة فقال له
 رسول الله ﷺ : «إياك والخلوب» فذبح لهم فاكلوا من الشاة ، ومن ذلك العذق ،
 وشربوا ، فلما أن شبعوا ورووا ، قال رسول الله ﷺ - لأبى بكر وعمر - : «والذى
 نفسى بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة ، أخرجكم من بيوتكم الجوع ، ثم لم
 ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم !!»

(١) أخرج البخارى (٣٧٢٨) من حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : إنى لأول
 العرب رمى بسهم فى سبيل الله ، وكنا نغزو مع النبى ﷺ ، وما لنا طعام إلا ورق
 الشجر ، حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعير ، أو الشاة ، ما له خلط ، ثم
 أصبحت بنو أسد تعزرنى على الإسلام ، لقد خبت إذن وضل عملى ، وكانوا
 وشوا به إلى عمر قالوا : لا يُحسن صلى .

(٢) أخرجه الترمذى (٢٣٨٠) ، وأحمد (١٣٢/٤) ، وغيرهما وإسناده حسن =

ويلتحق بهذا الباب من يتبعون نواذر المسائل، ويجعلونها أصولاً مع ما فيها من مصادمات ومخالفات لما في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة.

كالذي ينقل - في مجال الترغيب في قيام الليل - عن فلان من الأئمة أنه صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، (يعنى أنه لا ينام الليل)، وهذا رغم غرابته، فهو مصادم لما ورد في قوله تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا. [المزمل: ٢ - ٤]

ومخالف لقوله ﷺ: «ولكني أقوم وأنام...».

وقول سلمان لأبي الدرداء لما أراد أن يقوم الليل: «نم الآن»^(١).

وقول النبي في شأن داود وقيامه..

وكالذي ينقل عن فلان من الأئمة أنه كان يصلى في الليلة ثلاثمائة ركعة، وهذا لم يؤثر عن رسول الله ﷺ بحال من الأحوال.

● وقد تكون هناك صورة من صور العبادة عليها أكثر أحوال رسول الله ﷺ، وثم صورة أخرى فعلها رسول الله ﷺ، لكنه لم يُغلبها، من فعلها، بل فعلها أحياناً، فينبغي أن نُغلب ما كان عليه أكثر أحوال رسول الله ﷺ، ويُفعل الآخر أحياناً؛ إذ قد فعله رسول الله ﷺ أحياناً.

= بمجموع طرقه، وإن كان إسناده عند بعض من أخرجه ظاهره السلامة (كالذي عند أحمد) إلا أننا في شك من ثبوت سماع يحيى بن جابر من المقدام (صحابي الحديث)، لكن على كل فالحديث قد يحسن بمجموع طرقه، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي جحيفة رُوِيَ مرفوعاً، وقد تقدم.

أما أن نجعل النادر من فعله ﷺ هو الغالب من أفعالنا، ونجعل الغالب من فعله هو النادر من أفعالنا فهذا خلل واضح ، وجهل بالتشريع .

فعلى سبيل المثال :

❑ مسألة الجمع بين الصلوات ❑

فقد ورد حديث ابن عباس رضيهما في الجمع بين الصلوات الذي فيه أن رسول الله ﷺ صلى بالمدينة، سبعا وثمانيا، الظهر، والعصر، والمغرب ، والعشاء^(١) .

وفي بعض الروايات في غير خوف ولا سفر^(٢) .

وعند مسلم من طريق أبي الزبير قال: فسألت سعيداً ، لم فعل ذلك؟ فقال: سألت ابن عباس، كما سألتني ، فقال: أراد أن لا يخرج أحداً من أمته .

فهذا وإن فعل أحيانا عن ضرورات ، فلا يكن أصلا .

فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣] فالأصل أن تصلي كل صلاة في وقتها، إلا ما جاء الدليل بتجويزه أثناء السفر، وما في معناه ،

(١) أخرجه البخاري (حديث ١١٧٤) ، ومسلم (ص ٤٩٠ - ٤٩١) .

(٢) وإن كان بعض الرواة حمل ذلك على أنه أخر الظهر إلى آخر وقته، وصلى العصر في أول وقته، وأخر المغرب إلى آخر وقته، وصلى العشاء في أول وقته، فكانت أشبه بالجمع، ولكنه جمع صوري، والله أعلم .

فليفعل بالقدر الذى جاء به ، وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (٥) . [الماعون : ٤-٥]

□ ومن أمثلة ذلك ما ورد فى ألفاظ التسليم من الصلاة □

فورد من عدة طرق عن رسول الله ﷺ ، أنه كان يسلم عن يمينه (السلام عليكم ورحمة الله) ، وعن يساره (السلام عليكم ورحمة الله) ، وورد فى بعض الطرق زيادة (وبركاته) عن اليمين ، أى أنه كان يقول عن يمينه (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ، فهذه الزيادة (وبركاته) على فرض ثبوتها ، فلا ينبغي أن تُغلب إذ أغلب أصحاب النبى ﷺ رووا الحديث عنه بدونها ، فإن ثبتت (وبركاته) عن بعض أصحاب النبى ، فيما رواه عن رسول الله ، فلتفعل أحياناً ، وليكن الأغلب ما رواه الأكثر (السلام عليكم ورحمة الله) ، بيد أن هذه الزيادة (وبركاته) لم يسلم لها طريق عن رسول الله ﷺ .

وأمثل طريق ورد لهذه الزيادة ما رواه أبو داود والطبرانى^(١) من طريق موسى بن قيس الحضرمى عن سلمة بن كهيل عن علقمة بن وائل عن أبيه وائل ، قال : صليت مع النبى ﷺ ، فكان يسلم عن يمينه (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) وعن شماله (السلام عليكم ورحمة الله)^(٢) .

(١) أبو داود (حديث ٩٩٧) ، والطبرانى فى الكبير (٤٥/٢٢) .

(٢) وقد وقع فى بعض نسخ سنن أبى داود زيادة وبركاته عن الشمال أيضاً ، ووقع عند البغوى من طريق أبى داود (البغوى فى شرح السنة ٦٩٦) بدون ذكر وبركاته عن اليمين والشمال .

وبالنسبة لهذا الطريق ففي سماع علقمة بن وائل من أبيه خلاف، فقد أثبتته قوم ونفاه آخرون، وإن كنا ننجح إلى سماعه منه، وأيضاً فجمهور الرواة رووا هذا الحديث عن سلمة بن كهيل، عن علقمة عن أبيه، مختصراً بلفظ: ويسلم عن يمينه وعن يساره (بدون ذكر السلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

من هؤلاء الرواة الذين رووا الحديث على هذا الوجه: شعبة، والثوري، والعلاء بن صالح، ومحمد بن سلمة بن كهيل^(١)، كلهم رووه عن سلمة به مختصراً، أما موسى بن قيس، فهو الذي زاد هذه الزيادة، ومن ثم قال الطبراني^(٢): هكذا رواه موسى بن قيس عن سلمة، قال: عن علقمة بن وائل.. وزاد في السلام (وبركاته).

هذا الخلاف بالنسبة لرواية وائل، أما سائر الروايات عن رسول الله ﷺ فهذا بيانها^(٣):

● حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه :

(١) وفي بعض هذه الطرق إثبات (جحر) بين سلمة ووائل، وفي بعضها سلمة عن جحر عن علقمة عن وائل.. وهذا خلاف لا يضر.

(٢) الطبراني (٤٦/٢٢) المعجم الكبير).

(٣) وقد قام بجمعها في جزء حديثي وفقهي أحد إخواننا من طلبة العلم الذين يدرسون عندنا، وهو الأخ أبو عمر إبراهيم الشيخ - حفظه الله تعالى - فأفاد في رسالته وأجاد - فجزاه الله خيراً - وهي رسالة نافعة في بابها، وقد قمت بمراجعتها معه، فليرجع إليها من شاء.

أخرجه الحميدى^(١) وغيره، بإسناد صحيح عنه، وفيه أن النبي ﷺ قال: «ما بالكم ترمون بأيديكم كأنها أذناب خيل شمس، أو لا يكفى أحدكم - أو إنما يكفى أحدكم - أن يضع يده على فخذه، ثم يسلم من عن يمينه ومن عن شماله^(٢)، السلام عليكم ورحمة الله^(٣)، السلام عليكم ورحمة الله».

● حديث ابن عمر رضي الله عنهما (٤):

بإسناد صحيح من طريق واسع بن حبان، أنه سأل ابن عمر عن صلاة رسول الله ﷺ، فقال: «كان إذا صلى قال: (الله أكبر) كلما رفع، وكلما وضع في الركوع والسجود، وإذا انصرف قال: (السلام عليكم ورحمة الله) (السلام عليكم ورحمة الله) عن يمينه وعن شماله».

● حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه :

(١) الحميدى : (٨٩٦).

(٢) وقد وقع الحديث عند مسلم (حديث ٤٣١) مختصراً إلى هذا الحد (أى بدون قوله: السلام عليكم...).

(٣) وقعت زيادة (وبركاته) في هذا الحديث عند الشافعى في المسند المرتب، أما المسند بدون ترتيب فليست فيه زيادة (وبركاته)، وكذلك فالحديث في الام للشافعى، بدون هذه الزيادة، ولا توجد زيادة (وبركاته) في أى رواية لحديث جابر بن سمرة (فيما وقفت عليه) إلا رواية مسند الشافعى المرتب، فلعلها مقحمة في الحديث هناك، والله أعلم.

(٤) أخرجه الطبرانى (١٢ / ٣٥٠) في المعجم الكبير، وفي بعض روايات هذا الحديث «السلام عليكم» عن يساره، كما عند النسائى (٣ / ٦٣)، وأحمد (٥٤٠٢).

أخرجه البيهقي ^(١)، في السنن الكبرى بإسناد ضعيف ^(٢)، عن سعد قال: «رأيت رسول الله ﷺ يسلم في الصلاة تسليمين: تسليمه عن يمينه (السلام عليكم ورحمة الله)، وتسليمه عن يساره (السلام عليكم ورحمة الله)، حتى يرى بياض خديه من هاهنا، وهاهنا».

● حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه ^(٣):

«كان رسول الله ﷺ يسلم عن يمينه، وعن يساره، حتى يرى بياض خده (السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله)». وإسناده صحيح إلا أنه أعل بالوقف ^(٤).

● حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: وإسناده ضعيف ^(٥) وفيه:

«أن النبي ﷺ كان يسلم عن يمينه، وعن شماله، ويقول: (السلام عليكم ورحمة الله) حتى يرى بياض خده».

● حديث ابن مسعود رضي الله عنه:

وفيه: «أن النبي ﷺ كان يسلم عن يمينه، وعن شماله، حتى يرى بياض خده (السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله)» رواه أبو داود ^(٦) وغيره، من طرق عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن

(١) السنن الكبرى : (١٧٨/٢).

(٢) ولهذا الحديث طرق، ولكن ليس فيها ألفاظ التسليم.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٩١٦).

(٤) انظر علل الترمذی الكبير (ص ١٠٧).

(٥) المصنف (٢٩٩/١).

(٦) أبو داود (حديث ٩٩٦).

ابن مسعود، وإسناده صحيح.

وجمهور الرواة الذين روه عن أبي إسحاق روه بلفظ : (السلام عليكم ورحمة الله).

وقد رواه بعضهم عن أبي إسحاق ، واختلف عليهم ، فرواه بعضهم بذكر (وبركاته) ، لكن رواية الأكثرين عنهم ، وهى الأصح والأثبت بدون ذكر (وبركاته).

ثم إن هذا الحديث قد اختلف فى رفعه ووقفه^(١).

● أما الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم :

فقد صح عن أبي بكر وعمر - كما عند النسائي^(٢) - أنهما كانا يسلمان عن اليمين والشمال (السلام عليكم ورحمة الله).

وكذلك صح عن على^(٣) أيضاً ، وعن عمار^(٤) (السلام عليكم ورحمة الله).

وكذلك صح عن ابن مسعود^(٥) ، كما قدمنا (السلام عليكم ورحمة الله).

(١) قال أبو داود: شعبة كان ينكر هذا الحديث - حديث أبي إسحاق - أن يكون مرفوعاً.

(٢) النسائي (٢/ ٢٣٠ ، ٣ / ٦٢).

(٣) الطحاوى (شرح معانى الآثار ١/ ٢٧١).

(٣) الطحاوى (١/ ٢٧١).

(٤) المصنف لابن أبى شيبة (١/ ٢٩٩).

(٥) انظر : المصنف لابن أبى شيبة (١/ ٣٠٠).

وعن التابعين كذلك . . فصح عن علقمة والأسود أنهما كانا يسلمان
(من الصلاة) السلام عليكم ورحمة الله .

ونحوه عن إبراهيم النخعي^(١) .

وهذا هو قول جمهور أهل العلم^(٢) ، أنهم يرون أن التسليم صفته
(السلام عليكم ورحمة الله)^(٣) .

• وأخيراً . . فبعد هذا العرض السريع لهذه المسألة ، ظهر لنا جلياً
أن الأصح هو التحلل من الصلاة بلفظ (السلام عليكم ورحمة الله) ،
وهو رأى جمهور العلماء .

فإن رأى بعض أهل العلم تصحيح زيادة (وبركاته) ، فله وجهته ،
ولكن لا ينبغي أن تُغلب ، ولا ينبغي أن تنشأ خلافات من أجل هذه
المسألة ، بل ينبغي أن تتسع لها الصدور ، فالقدر الواجب للتحلل من
الصلاة (السلام عليكم) ؛ لحديث تحليلها التسليم .

ومما يدل على السعة في هذا الأمر تنوع الروايات من ناحية ، وإن
كان الأكثر منها (السلام عليكم ورحمة الله) ، ويدل على ذلك أن ابن
عمر رضي الله عنهما كان يُسلم مقتصراً على قول : (السلام عليكم) .

(١) انظر : المصنف لابن أبي شيبة (١/ ٣٠٠) .

(٢) ونقله الكاساني في بدائع الصنائع (١/ ١٩٥) عن عامة أهل العلم .

(٣) وقد قال بعدم استحباب زيادة (وبركاته) : النووي في الأذكار ص ١٣٠ طبعة
الرسالة ، وابن حزم في المحلى (٤/ ١٣٠) .

فعند عبد الرزاق في المصنف^(١) عن ابن جريج قال: أخبرني نافع ،
وسأله : كيف كان ابن عمر يُسلّم إذا كان إمامكم؟ قال : عن يمينه واحدة
السلام عليكم .

والله تعالى أعلم .

(٣) عبد الرزاق (المصنف ٣١٤٢) ، وإسناده صحيح .

كيفية تحرير المسائل

ولتحرير المسائل والوقوف على الراجح منها سبيل، يتلخص في الآتي:

أنا نبحث في كتاب الله ، وفي سنة رسول الله ﷺ عن الأدلة الواردة في المسألة التي نحن بصددھا، ثم نحقق الوارد عن رسول الله ﷺ ، ونعتمد الصحيح منه للاحتجاج به .

وكذلك نبحث في كتب الإجماع، وهل حدث إجماع في المسألة التي نحن بصددھا أم لا؟ ثم كذلك نتجه إلى أقوال صحابة رسول الله ﷺ ، وأقوال التابعين لهم بإحسان ، وننظر في صحة هذه الآثار .

فتتأوى صحابة رسول الله ﷺ أولى من فتاوى من بعدهم، وهكذا الأقرب إلى رسول الله ﷺ فالأقرب .

ثم أيضاً نبحث في أقوال أصحاب المذاهب من كتبهم المعتمدة، ونأخذ منها ما وافق الدليل، ثم أقوال من جاء من بعدهم، ثم الاستئناس بأقوال علمائنا الأفاضل المعاصرين، فحينئذ نخرج بفقه عاقل متزن رزين، الغالب عليه السداد والتوفيق وعدم الشذوذ.

فإذا كان عندي في المسألة أدلة من كتاب الله، وأخرى من صحيح سنة رسول الله ﷺ ، وفتاوى لأصحابه رضی اللہ عنہم موافقة لذلك ، ثم فتاوى التابعين كذلك، وأقوال من المذاهب توافق ذلك، فحينئذ نخرج بفقه رزين متزن قوى ثابت، والآية والحديث حجة بذاتهما كما هو معلوم.

وأفهام صحابة رسول الله ﷺ والتابعين لزماً أن تؤخذ في الاعتبار، وها أنا أورد قولاً طيباً في هذا المقام لابن القيم رحمه الله تعالى - ناقلًا له من إعلام الموقعين عن رب العالمين:

قال رحمه الله^(١):

فصل

في جواز الفتوى بالآثار السلفية، والفتاوى الصحابية، وأنها أولى بالأخذ بها من آراء المتأخرين وفتاويهم، وأن قربها إلى الصواب بحسب قرب أهلها من عصر الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، وأن فتاوى الصحابة أولى أن يؤخذ بها من فتاوى التابعين، وفتاوى التابعين أولى أن من فتاوى تابعي التابعين، وهلم جرا، وكلما كان العهد بالرسول أقرب كان الصواب أغلب، وهذا حكم بحسب الجنس، لا بحسب كل فرد من المسائل، كما أن عصر التابعين، وإن كان أفضل من عصر تابعيهم، فإنما هو بحسب الجنس لا بحسب كل شخص، ولكن المفضلون في العصر المتقدم أكثر من المفضلين في العصر المتأخر، وهكذا الصواب في أقوالهم، أكثر من الصواب في أقوال من بعدهم، فإن التفاوت بين علوم المتقدمين والمتأخرين كالتفاوت الذي بينهم في الفضل والدين، ولعله لا يسع المفتي، والحاكم عند الله أن يفتي، ويحكم بقول فلان وفلان من المتأخرين من مقلدي الأئمة، ويأخذ برأيه، وترجيحه، ويترك الفتوى والحكم بقول البخاري، وإسحاق بن راهوية، وعلى بن

(١) إعلام الموقعين (٤ / ٩٥ - ٩٦).

المديني، ومحمد بن نصر المروزي وأمثالهم، بل يترك قول ابن المبارك، والأوزاعي، وسفيان بن عيينة، وحمام بن زيد، وحمام بن سلمة وأمثالهم، بل لا يلتفت إلى قول ابن أبي ذئب، والزهرى، والليث بن سعد وأمثالهم، بل لا يعد قول سعيد بن المسيب، والحسن، والقاسم، وسالم، وعطاء، وطاوس، وجابر بن زيد، وشريح، وأبى وائل، وجعفر بن محمد، وأضرابهم مما يسوغ الأخذ به، بل يرى تقديم قول المتأخرين من أتباع من قلده على فتوى أبى بكر الصديق، وعمر، وعثمان، وعلى، وابن مسعود، وأبى بن كعب، وأبى الدرداء، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبادة بن الصامت، وأبى موسى الأشعري وأضرابهم، فلا يدرى ما عذره غدا عند الله إذا سؤى بين أقوال أولئك وفتاويهم، وأقوال هؤلاء وفتاويهم، فكيف إذا رجحها عليها؟ فكيف إذا عيّن الأخذ بها حكماً وإفتاء، ومنع الأخذ بقول الصحابة، واستجاز عقوبة من خالف المتأخرين لها، وشهد عليه بالبدعة والضلالة، ومخالفة أهل العلم، وأنه يكيّد الإسلام؟ تالله لقد أخذ بالمثل المشهور «رمتنى بدائنها وأنسلت» وسمى ورثة الرسول باسمه هو، وكساهم أثوابه، ورماهم بدائنه، وكثير من هؤلاء يصرخ ويصيح ويقول ويعلن أنه يجب على الأمة كلهم الأخذ بقول من قلده ديننا، ولا يجوز الأخذ بقول أبى بكر وعمر وعثمان وعلى، وغيرهم من الصحابة. وهذا كلام من أخذ به وتقلده ولاه الله ما تولى، ويجزيه عليه يوم القيامة الجزاء الأوفى، والذي ندين الله به ضدّ هذا القول.

وقال فى كتابه «مفتاح دار السعادة» ^(١):

وكان بعض خلفاء بنى العباس يلعب بالشطرنج، فاستأذن عليه عمه، فأذن له وغطى الرقعة، فلما جلس قال له: يا عم! هل قرأت القرآن؟ قال: لا، قال: فهل كتبت شيئاً من السنة؟ قال: لا، قال: فهل نظرت فى الفقه واختلاف الناس؟ قال: لا، قال: فهل نظرت فى العربية وأيام الناس؟ قال: لا، فقال الخليفة: اكشف الرقعة، ثم أتم اللعب، وزال احتشامه وحيأؤه منه، فقال له مُلاعبه: يا أمير المؤمنين! تكشفها ومعنا ومن تحتشم منه؟ قال: اسكت فما معنا أحد!!

وهذا لأن الإنسان إنما يتميز عن سائر الحيوان بما خص به من العلم والعقل والفهم، فإذا عدم ذلك لم يبق فيه إلا القدر المشترك بينه وبين سائر الحيوانات، وهو الحيوانية البهيمية، ومثل هذا لا يستحى منه الناس، ولا يمتنعون بحضرته وشهوده مما يستحى منه من أولى الفضل والعلم

التأني في تنزيل الأحكام على الأشخاص

وذلك حتى يتعلم الجاهل ، ويرشد الضال ، وتعلم أعداء المعتزدين ، ووجهات المخالفين .

فلا يعمد شخص إلى امرأة متمصة بعينها ، ويسميها باسمها ، وينشر في الناس أن فلانة من الناس ملعونة ؛ لأن النبي ﷺ لعن «النامصة والمتمصة»^(١) بدون أن يبين لها ، ويضبط وصفها بالضوابط الشرعية .

ولا يعمد شخص إلى حديث فيه : «ثم يصطليح الناس على رجل كورك على ضلع»^(٢) رغم ما في الحديث ، فيقول : هذا الرجل هو فلان ، ولم يكن قد سماه رسول الله ﷺ ، وهكذا .

فقد ورد أن رسول الله ﷺ لعن الخمر وشاربها^(٣) ، ولكنه مع ذلك لما أتى بشارب خمر ولعنه بعض أصحاب النبي ﷺ قال لهم رسول الله ﷺ : «لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله»^(٤) .

(١) أخرجه البخاري (٥٩٣١) ، وفي غير موطن ، ومسلم (٢١٢٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً .

(٢) انظر كتابنا : «الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشرار الساعة» .

(٣) صححه الشيخ ناصر - رحمه الله - بمجموع طرقه (انظر الإرواء ٣٦٧/٥) .

(٤) أخرج البخاري (٦٧٨٠) من حديث عمر رضي الله عنه أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبدالله ، وكان يلقب حماراً ، وكان يضحك رسول الله ﷺ ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب ، فأتى به يوماً فأمر به فجلد ، فقال رجل من القوم : =

تغير الفتوى حسب القرائن المحسنة بالسؤال

وأمثل ما يتنزل عليه ذلك مسألة اللقطة.

فحكم اللقطة يختلف باعتبار نوع اللقطة، وقدرها، والمكان الذى وجدت فيه، وكذلك زمن تواجدها.

فمثلاً رجل وجد خمسين جنيهاً، أو خمسين ريالاً فى مدينة من كبرى المدن، وفى حى من أكبر أحياءها، والرواد عليه كثيرون، راثحون وغادون، فمثل هذا لا يُقال له عُرِفَ اللقطة لمدة عام؛ إذ اللقطة هذه من اليسير الذى لا ينشده أصحابه لمدة يوم واحد، فضلاً عن عام، وكما هو معلوم فيسير اللقطة معفو عنه، لكن إذا وجدت هذه الخمسون فى قرية صغيرة، وفى حى ضعيف معروف أهله، فحيثئذ سيكون المبلغ له قيمة، فليعرف التعريف الشرعى، الذى بينه رسول الله ﷺ فى حديثه وسنته بشأن اللقطة.

وكذلك إذا وجدت ساعة فى طريق هو عمر للسيارات، أو وجد قلم، فى مثل هذا الطريق، هل يترك للسيارات ترممه وتكسره؟ أم يلتقط؟ وهل يعرف حولاً كسائر أنواع اللقطة أم لا؟

فيقينا أنه لا يترك للسيارات تكسره، أما تعريفه فيبنى على قدره، وقيمه، باعتبار المكان الذى وجد فيه أيضاً.

= اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبى ﷺ: «لا تلعنوه فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله»، وقوله: (ما عملت)، (ما) هنا زائدة أو المراد: ما عملت عليه سوءاً، إنه يحب الله ورسوله، وفى رواية عند أبى يعلى: «لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله».

هذا.. وأيضاً فقد يكون للقطعة قيمة في زمن ، وتنخفض هذه القيمة أو تزيد في زمن آخر كما هو معلوم.

وأترك الآن مع حديث رسول الله ﷺ الذي ظهر فيه التفريق بين أنواع اللقطة، وشيء من فقه هذا الحديث.

أخرج البخارى ومسلم^(١) من حديث زيد بن خالد رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن اللقطة؟ فقال: «عرفها سنة»^(٢) ثم اعرف وكاءها وعفاصها، ثم استنفق بها^(٣) فإن جاء ربها فأدها إليه» فقال: يا رسول الله! فضالة الغنم؟ قال: «خذها فإنما هي لك أو لأخيك أو للذئب»، قال: يا رسول الله! فضالة الإبل؟ قال: فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت وجنتاه^(٤) (أو احمر وجهه) ثم قال: «مالك ولها؟ معها حذاؤها وسقاؤها»^(٥) حتى يلقاها ربها».

(١) البخارى (حديث ٢٤٢٧)، ومسلم (حديث ١٧٢٢).

(٢) عرفها سنة: معناه إذا أخذتها فعرفها سنة، والتعريف أن ينشدها في الموضع الذي وجدها فيه، وفي الأسواق، وأبواب المساجد، ومواضع اجتماع الناس، فيقول: من ضاع منه شيء؟ من ضاع منه حيوان؟ من ضاع منه دراهم؟ ونحو ذلك، ويكرر ذلك بحسب العادة.

(٣) ثم استنفق بها: أى تملكها ثم أنفقها على نفسك.

(٤) وجنتاه: الوجنة، بفتح الواو وضمها وكسرهما، وفيها لغة رابعة: أجنة بضم الهمزة، وهى اللحم المرتفع من الخدين، ويقال: رجل موجن وواجن، أى عظيم الوجنة، وجمعها وجنات، ويجئ فيها اللغات المعروفة فى جمع قصعة وحجرة وكسرة.

(٥) معها سقاؤها وحذاؤها: معناه أنها تقوى على ورود المياه، وتشرب فى اليوم الواحد وتملاً كرشها، بحيث يكفيها الأيام، وأما حذاؤها فهو أخفافها؛ لأنها تقوى على السير وقطع المقاوز.

اختيار أخف الضررين عند توارد المفسد والمضار

فإن كان ولا بد من فعل أحد أمرين كلاهما ضار؛ فليُختَر منها الأخف ضرراً بلا شك، ومن أظهر الأدلة على ذلك:

خرق الخضر للسفينة، كما ذكر الله في كتابه الكريم، إذ قال الخضر ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩)﴾ [الكهف: ٧٩].

فهنا ضرران أحدهما خرق السفينة، والآخر أن تترك للملك يغتصبها، فكان أخفهما ضرراً خرق السفينة.

وكذلك قتل الغلام خشية أن يرهق أبويه طغياناً وكفراً، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠].

وعلى سبيل المثال: إذا رأيت رجلاً ظالماً يطارد رجلاً آخر مظلوماً، وأنت موقن تمام اليقين أن هذا مظلوم، والآخر يريد قتله، فجاءك المظلوم يجرى، وخلفه الظالم يبحث عنه ويطارده لقتله، فدخل هذا المظلوم بيتك، ثم جاءك الظالم يسأل، أين هو؟ فإما أن تُسلم المظلوم للقتل، وإما أن تكذب، وتقول: لا أدري، أو لم يدخل بيتي!!

فاختياراً لأخف الأضرار تختار الكذب الذي هو دون القتل، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩].

الترخيص في ارتكاب المحظورات عند وجود الضرورات يكون بقدر

فارتكاب المحظور يكون بالقدر الذي تدفع به الضرورة، فإذا دفعت
الضرورة لم يعد الشخص مضطراً، ومن ثمّ فليس له بعد دفع الاضطرار
عنه أن يرتكب محظوراً، وإلا كان آثماً، وقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ
غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] ، وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ
اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣) [المائدة: ٣].

الإنصاف وقبول الحق ممن جاء به

وهذا باب من أبواب العدل ، الذي أمرنا به قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٨) ﴿ [المائدة: ٨] .

فهذا تستقيم الأمور ، ثم إن هذا هو سنة النبي ﷺ وأصحابه ، ألا ترى أن اليهود أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنكم تشركون وتنددون ، قال: «وماذا؟» قالوا: تقولون : والكعبة ، وتقولون: ما شاء الله وشاء فلان؟ ، فقال النبي ﷺ : «لا تقولوا والكعبة ، ولكن قولوا: ورب الكعبة ، ولا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا: ما شاء الله»^(١) .

وأيضاً في صحيح البخارى من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء خبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد! إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، وسائر الخلائق على إصبع ، فيقول: أنا الملك فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الخبر ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿وَمَا

(١) أخرج النسائي (٣٧٧٣) ، وأحمد (٣٧١/٦) بإسناد صحيح عن قتيلة (امراة من جهينة) أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون ، وإنكم تشركون ، تقولون: ما شاء الله وشئت ، وتقولون: والكعبة ، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة ، ويقولون: ما شاء الله ثم شئت . وله طرق أخرى بنحوه عن النبي ﷺ .

قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾^(١). [الزمر: ٦٧]

وأيضاً ألا ترى أن الشيطان لما أخبر أبا هريرة رضي الله عنه ، وهو يحفظ زكاة الفطر ، أن من قرأ آية الكرسي عند النوم لن يزال معه من الله حافظ ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح ، فقال النبي ﷺ لأبي هريرة : «صدقك وهو كذوب»^(٢).

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه (٤٨١١).

(٢) أخرجه البخاري معلقاً (مع الفتح ٤ / ٢٨٧) ، وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - (فتح الباري) : وقد وصله النسائي والإسماعيلي وأبو نعيم .

مسائل يسع المسلمون فيها الخلاف

وهناك جملة من المسائل يسع المسلمون فيها الخلاف^(١)، إذ تعدد آراء العلماء فيها، وكل قول ورأى من هذه الآراء والأقوال مستند إلى دليل صحيح، أو إلى أصل عام، أو إلى قياس جلي واضح، ففي مثل هذه المسائل، وإن استظهرنا رأياً من الآراء، ورأيناه الأصح والأقرب، فلا ينبغي أن يناصب الآخرون العدا، ولا أن يوصفوا بالابتداع، ويؤسموا بالبدعة والضلالة والزيغ، بل تتحمل الأقوال مادامت تستند إلى دليل صحيح، وإن كنا نرى أن رأياً منها هو الصائب.

وها هي جملة من المسائل في هذا الباب نبين أقوال أهل العلم فيها واستدلالاتهم، مرادنا من ذلك توسيع أفق القارئ الكريم بدرجة تتسع لقبول أقوال العلماء واجتهادات العلماء وتفهم وجهات نظرهم، وإن لم يتقلدها الشخص لرأى آخر هو أرجح. فبالوقوف على أقوال العلماء واستدلالاتهم تقل العصبية، ويقل التشنج والغضب، ويعلم الشخص الباحث والدارس أن أكثر هؤلاء العلماء لم يكن الحامل لهم على ما ذهبوا إليه هو الهوى، وإنما حملهم على ذلك اجتهاد، وحب للخير، فمن ثم يوقرهم ويبجلهم ويبدعهم ويدعو لهم بالرحمة والمغفرة

(١) وقد كلفت بكثير من هذه المسائل عدداً من إخواننا طلبة العلم، كى يخرجوها في أبحاث نافعة - إن شاء الله - وخاصة تلك المسائل المشهورة التي يحتاج إليها الناس، والله الموفق.

والرضوان، وإن تقلد هو رأيا آخر، فهذا هي بعض هذه المسائل، وهي أكثر من أن تحصر، نسوقها سائلين الله أن ينفعنا بها والمسلمين.

■ مسألة القنوت في صلاة الفجر ■

فلاهل العلم في هذه المسألة جملة أقوال:

أحدها: أنه مستحب وسنة راتبة.

ومن أدلة هذا القول ما يلي:

الدليل الأول: ما أخرجه مسلم^(١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقنت في الصبح والمغرب، وفي رواية^(٢): كان يقنت في الفجر.

الدليل الثاني: حديث أنس رضي الله عنه، وله عنه روايات، منها:

● رواية محمد بن سيرين^(٣)، قال: سئل أنس أقنت النبي ﷺ في الصبح؟ قال: نعم، فقليل له: أوقنت قبل الركوع؟ قال: بعد الركوع يسيراً.

● رواية أبي مجلز^(٤) عن أنس قال: قنت رسول الله ﷺ بعد الركوع في صلاة الصبح، يدعو على رعل وذكوان، ويقول: عصية عصت الله ورسوله.

(١) مسلم (حديث ٦٧٨).

(٢) أبو داود (حديث ١٤٤١)، وأحمد (٤ / ٣٠٠).

(٣) عند البخاري (حديث ١٠٠١)، ومسلم (ص ٤٦٨).

(٤) البخاري (١٠٠٣)، ومسلم (ص ٤٦٨ ترتيب محمد فؤاد).

● ونحوها رواية أنس بن سيرين^(١) عن أنس ، ورواية عبدالعزيز بن صهيب عن أنس ورواية عاصم الأحول عن أنس .

وثم روايات أخرى لحديث أنس هذا .

الدليل الثالث : حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وفيه أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الآخرة من الفجر يقول : اللهم العن فلاناً وفلاناً ، بعدما يقول : سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ، فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إلى قوله ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨] ، أخرجه البخاري^(٣) .

الدليل الرابع : حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيه : كان رسول الله ﷺ يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ، ثم يقول وهو قائم : اللهم أنج الوليد ابن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم كسنى يوسف ، اللهم العن لحيان ورعلاً وذكوان وعصية عصت الله ورسوله ، ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٢٨) . [آل عمران: ١٢٨]

أخرجه مسلم ، وانظر أيضاً البخاري^(٣) .

الدليل الخامس : حديث أنس رضي الله عنه من طريق الربيع بن أنس ،

(١) عند مسلم (ص ٤٦٨ - ٤٦٩) .

(٢) البخاري (حديث ٤٥٥٩) .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٦٧٥) ، وانظر البخاري (مع الفتح ٢ / ٥٧٢) .

وفيه: مازال رسول الله ﷺ يقنت في الفجر حتى فارق الدنيا^(١)، وهو حديث ضعيف.

الدليل السادس: حديث ابن عباس رضي الله عنهما^(٢) قال: مازال رسول الله ﷺ يقنت حتى فارق الدنيا.

وهو حديث ضعيف جداً، ففي إسناده محمد بن مصبح بن هلقان، حدثنا أبي، وهو وأبوه مجهولان، وثم أنواع آخر من الضعف فيه. وقد وردت بذلك جملة آثار عن بعض الصحابة رضي الله عنهم، وفيها أنهم كانوا يقنتون في صلاة الفجر، نورد منها ما يلي:

● أثر عمر رضي الله عنه:

أخرجه عبد الرزاق^(٣) في مصنفه بإسناد صحيح، عن طريق طارق بن شهاب أن عمر بن الخطاب صلى الصبح، فلما فرغ من القراءة قنت ثم كبر حين يركع.

● أثر ابن عباس رضي الله عنهما:

رواه ابن أبي شيبة في المصنف^(٤) بإسناد صحيح من طريق أبي رجاء قال: صليت مع ابن عباس في مسجد البصرة صلاة الغداة فقنت قبل الركوع.

(١) وهذا الحديث ضعيف منكر، فهو من رواية أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، وأبو جعفر فيه بعض الكلام، وروايته عن الربيع بن أنس فيها مقال، والحديث أخرجه أحمد (٣/١٦٢)، والدارقطني (٢/٣٩)، وعبد الرزاق (٣/١١٠).

(٢) أخرجه الدارقطني (٢/٤١)، وإسناده واهٍ.

(٣) مصنف عبد الرزاق (٣/١٠٩) أثر رقم (٤٩٥٩).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/٣١٢ - ٣١٣).

• أثر أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما :

رواه ابن أبي شيبة^(١) في المصنف من طريق العوام بن حمزة قال :
سألت أبا عثمان عن القنوت؟ فقال: بعد الركوع، فقلت: عمن؟ فقال:
عن أبي بكر وعثمان.

• أثر علي رضي الله عنه :

رواه عبد الرزاق^(٢) من طريق أبي عبد الرحمن السلمى أن علياً كبر
حين قنت في الفجر، ثم كبر حين يركع.

ورواه الشافعى فى الأم من طريق أبي عبد الرحمن السلمى أن علياً
رضي الله عنه كان يقنت فى صلاة الصبح قبل الركوع^(٣).

وتم آثار أخر فى هذا الباب عن الصحابة والتابعين.

• ومن القائلين بمشروعية القنوت واستحبابه أيضاً فى صلاة الصبح
الإمام مالك والإمام الشافعى - رحمهما الله^(٤) - ونقله ابن عبد البر فى
الاستذكار أيضاً عن ابن أبى لىلى ، والإمام أحمد بن حنبل^(٥) ، وداود -
رحمهم الله -.

(١) رواه ابن أبى شيبة فى المصنف (٣١٢/٢).

(٢) رواه عبد الرزاق فى المصنف (١٠٩/٣) أثر رقم (٤٩٦٠).

(٣) الشافعى فى الأم (١٦٨/٧).

(٤) انظر المدونة لمالك، وانظر الأم للشافعى (١٦٨/٧)، وانظر السنن والآثار للبيهقى
(٧٧/٢)، وشرح الزرقانى للموطأ (٣٢٢/١).

(٥) وللإمام أحمد - رحمه الله - قول آخر فى هذا الباب ، وسيأتى إن شاء الله .

القول الثاني: أنه يفعل عند الحاجة .

ومن أدلة هذا القول أن النبي ﷺ قنت شهراً يدعو في صلاة الصبح يدعو على رعل وذكوان وعصية عصت الله ورسوله، وقد تقدم الحديث بذلك .

وفي هذا الباب أيضاً حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان لا يقنت إلا إذا دعا لقوم أو دعا على قوم، أخرجه ابن خزيمة - رحمه الله - في صحيحه، وفي إسناده محمد بن محمد بن مرزوق، فيه كلام^(١)، ومن القائلين بهذا القول الإمام أحمد - رحمه الله تعالى^(٢) - كما عند ابن قدامة في المغني^(٣) .

القول الثالث: وهو قول من قال: إن فعله حسن وتركه حسن .

وبهذا قال بعض أهل العلم، كسفيان الثوري - رحمه الله^(٤) -

(١) من العلماء من وثقه، فقد نقل الحافظ توثيقه عن الخطيب، ومنهم من ضعفه كابن عدى في الكامل، وقد ورد عند ابن خزيمة (٣١٣/١) من طريق أبي داود الطيالسي عن إبراهيم بن سعد عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة: كان لا يقنت إلا أن يدعو لأحد أو يدعو على أحد، وقد خالف الجماعة الذين روه عن إبراهيم بن سعد، خالفوا الطيالسي، فرووه بدون هذا التقييد، روه بلفظ: إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع .

(٢) وقد تقدم للإمام أحمد قول آخر في الباب الذي قبله .

(٣) المغني (١٥٥/٢) .

(٤) فقد صح عنه كما في المصنف لابن أبي شيبة (٣١٢/٢) أنه قال: من قنت فحسن، ومن لم يقنت فحسن .

وكالطبرى ^(١) - رحمه الله - وهو قول ابن حزم الظاهري أيضاً ^(٢).

وحجة هذا القول أن النبي ﷺ قنت وترك القنوت أيضاً.

القول الرابع : أنه بدعة.

ومن حجج هذا القول ما أخرجه الترمذى فى جامعه ^(٣)، من طريق أبى مالك الأشجعى، قال: قلت: يا أبة! إنك قد صليت خلف رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى بن أبى طالب هاهنا بالكوفة نحواً من خمس سنين، أكانوا يقتنون؟ قال: أى بنى محدث، وإسناده صحيح ^(٤).

وثم أدلة أخرى وفيها ضعف.

● أما الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم فقد روى عبدالرزاق ^(٥) بإسناد صحيح عن أبى الشعثاء قال: سألت ابن عمر عن القنوت فى الفجر فقال: ما شعرت أن أحداً يفعله.

وكذلك صح عن ابن مسعود أنه كان لا يقنت فى صلاة الفجر ^(٦).

ومن قال بهذا القول أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - وطائفة من أهل العراق.

(١) كما فى تهذيب الآثار (١/٣٨٧).

(٢) كما فى المحلى (٤/١٤٣).

(٣) جامع الترمذى (٢/٢٥٢).

(٤) إلا أن للعقيلي كلام فيه (انظر: الضعفاء للعقيلي ١١٩/٢)، وأجيب عن الاستدلال بهذا الحديث أن من علم حجة على من لم يعلم.

(٥) عبدالرزاق (٤٩٥٤) المصنف.

(٦) عبدالرزاق (٤٩٤٩) المصنف.

وبعد إيراد هذه الأقوال ، وإيضاح وجهات العلماء^(١) ومنشأ آرائهم نرى أن لكل عالم وجهته واستدلالاته ، وإن كانت بعض الوجهات أرجح من بعض ، وبعض الاستدلالات أقوى من الأخرى ، إلا أننا نرى أن من تبنى رأياً من هؤلاء العلماء لم ينشؤه من فراغ ، ولم يقل به عن هوى ، وإنما هو ما أداه إليه اجتهاده ، وهو مأجور على كل حال ، مصيباً كان أو مخطئاً ، مادام الاجتهاد شأنه والانتصار للدليل سبيله ، وتقوى الله زاده ، وتحرى سنة رسول الله ﷺ والعمل بها شعاره .

فلا ينبغي لشخص رأى رأياً أن يبالغ في التشنيع على من رأى الرأى الآخر ، وإنما له أن يوضح رأيه بأدلته ، ويتصر له بالحق والعدل والانصاف ، مع البعد عن الهوى والتقليد والعصية ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

□ ومنها مسألة الجهر بالبسملة والإسرار ، وهل هي آية من

الفاتحة ومن غيرها أم لا؟ □

فلأهل العلم في ذلك قولان :

● فمنهم من يرى أنها آية من سورة الفاتحة ، لقول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (٨٧) [الحجر: ٨٧] وفسر

(١) وإخواننا من طلاب العلم الذين درسوا عندنا رسالتان في هذا الباب ، إحداهما : جمعت مرويات القنوات الواردة عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه وعن التابعين ، وهي للأخ طلال - حفظه الله ونفع به - والأخرى : جمعت (بصورة مختصرة إلى حد ما) مرويات القنوات ، وأقوال كثير من الفقهاء في هذا الباب للأخ مجدى حفظه الله ، وقد قمت معهما بمراجعتهما يسر الله طبعهما .

النبي ﷺ «السبع المثاني والقرآن العظيم» بالفاتحة^(١)، ولا تكمل الفاتحة سبع آيات إلا إذا اعتبرت البسملة آية منها.

ولأن البسملة أثبتت في المصحف وكتبت بخطه ونُقلت نقله.

● ومنهم من يرى أنها ليست آية من الفاتحة؛ لقول الله عز وجل في الحديث القدسي: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدى ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدنى عبدي..»^(٢) الحديث فلم يذكر فيه بسم الله الرحمن الرحيم.

● واستدل بعض العلماء على أنها ليست آية بتكرير لفظ الرحمن الرحيم، بعد قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢). [الفاتحة: ٢]

● أما بالنسبة لغير الفاتحة من السور، فكذلك للعلماء قولان:

● منهم من قال: هي آية من كل سورة لما رواه مسلم عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاء ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «نزلت على أنفأ سورة، فقرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ (٢) إِنَّ شَأْنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)». [الكوثر: ١ - ٣]^(٣)

● ومنهم من قال: ليست آية من أى سورة؛ لأن الله تعالى أول ما أنزل على نبيه ﷺ «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) ...» [العلق: ١ - ٥] ولم يذكر البسملة، بل قال جبريل

(١) أخرجه البخارى (٤٦٤٧) وسيأتى.

(٢) أخرجه مسلم، وسيأتى إن شاء الله.

(٣) أخرجه مسلم (حديث رقم ٤٠٠).

ﷺ لرسول الله ﷺ: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ». قال: اقرأ. قال: «ما أنا بقارئ». قال: «اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ...» [العلق: ١ - ٥] والله تعالى أعلم.

□ أما هل يجهر بها أو لا يجهر؟ □

الامر في هذا قريب، فمن رأوا أنها آية من الفتحة لهم وجهان:
الوجه الأول: أنه لا يجهر بها لما ذكره أنس بن مالك رضي الله عنه من أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهم كانوا يفتتحون الصلاة بـ «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (٢) ﴿١﴾.

● وفي رواية لمسلم من حديث أنس أيضاً: صليت مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم (٢).

هذه أقوى حجج هذا الوجه (٣).

(١) أخرجه البخاري (٢٢٦/٢ مع الفتح)، ومسلم (مع النووي ٩٦/٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم - رحمه الله - (مع النووي ١١٠/٤).

(٣) لكن هذا تعقب من وجوه:

أولها: أن قوله في الرواية الأولى من أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بـ «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (٢) ﴿٢﴾ [الفاحة: ٢] معناه: أنهم يفتتحون الصلاة بسورة الفاتحة قبل غيرها من السور، فمراده بقوله: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» الفاتحة، كما يقال: قرأ النبي ﷺ في صلاة العشاء بـ «فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ» (١٥) ﴿١٥﴾ [التكوير: ١٥] أي: بالسورة التي فيها «فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ» (١٥) ﴿١٥﴾ ونحو ذلك، وليس فيها تعرض لنفي البسمة أو إثباتها، هذا من ناحية.

● أما من الناحية الأخرى وهي قوله في الرواية الثانية: فلم أسمع أحداً منهم =

الوجه الثاني: أنه يُجهر بها، وحجة هذا القول:

أولاً: كونها آية منها فلا معنى للإسرار بها دون غيرها.

ثانياً: ما رواه النسائي^(١) من طريق نعيم المجر قال: صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأمر القرآن حتى إذا بلغ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] فقال: آمين، فقال الناس: آمين، ويقول كلما سجد: الله أكبر، وإذا قام من الجلوس في الاثنتين قال: الله أكبر وإذا سلم، قال: والذي نفسى بيده إنى لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ.

وهذه أقوى حجج هذا الوجه، وثم أدلة آخر لكل وجه^(٢)، فيتضح أن الأمر قريب، والعلم عند الله سبحانه وتعالى.

= يقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فهذه الرواية وإن كانت صحيحة الإسناد إلا أنه تكلم فيها من ناحية تصرف راويها، فذكر عدد من أهل العلم أن بعض الرواة تصرف عند رواية حديث أنس المتقدم من أنه ﷺ كان يصلى خلف النبي ﷺ وأبى بكر وعمر، فكانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين، فظن الراوى أنهم لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم، فأخطأ ظنه، وإنما المراد أنهم يفتتحون القراءة (أو الصلاة) بالفاتحة على ما قدمنا في أول كلامنا، والله تعالى أعلم.

(١) أخرجه النسائي (١٣٤/٢).

(٢) وقد تعقب هذا الحديث (حديث نعيم المجر عن أبى هريرة) بأن الذى استنكر على أبى هريرة (كما فى طرق الحديث الآخر) هو التكبير، فقال له القائل: (ما هذا التكبير يا أبا هريرة؟ فقال: إنى لأشبهكم صلاة بصلاة رسول الله ﷺ) قالوا: إن مراده التكبير بالدرجة الأولى، لقولهم له: (ما هذا التكبير يا أبا هريرة؟) وفى ذكر التسمية نزاع من ناحية إثباتها حديثاً فالرواة الأكثر رووا الحديث عن أبى هريرة بدونها، والله تعالى أعلم.

ومن هذه المسائل مسألة :

□ رفع اليدين مع تكبيرات الجنازة (*) □

فلاهل العلم فيها قولان مشهوران، أحدهما: أن المصلى على الجنازة يرفع يديه مع كل تكبيرة، والثانى: أن اليد ترفع مع التكبيرة الأولى فقط، وبالنسبة للأدلة الواردة فى هذا الباب ، فكلها ضعيفة لا تثبت عن رسول الله ﷺ ، فالذين رأوا أن اليد ترفع مع التكبيرة الأولى فقط استدلوا بحديث أبى هريرة رضي الله عنه ^(١) الذى أخرجه الدارقطنى والبيهقى وغيرهما ، وفيه أن رسول الله ﷺ كبر على جنازة فرفع يديه فى أول تكبيرة، ووضع اليمنى على اليسرى.

وإسناد هذا الحديث ضعيف جداً، بل هو تالف ، ففيه أبو فروة يزيد بن سنان ، وهو متروك، وفيه أيضاً يحيى بن يعلى ، وهو ضعيف. واستدلوا أيضاً بحديث ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يرفع يديه على الجنازة فى أول تكبيرة ثم لا يعود^(٢)، أخرجه الدارقطنى ، والعقيلى ، وإسناده ضعيف أيضاً، ففي إسناده الفضل بن السكن وهو ضعيف، ووصفه بعض أهل العلم بالجهالة.

وبالنسبة للآثار عن الصحابة ، فلم أقف على شيء ثابت صحيح

(*) لاخينا فى الله محمد العلوى ، رسالة موفقة فى هذا الباب، وهو من طلاب العلم النبهاء فى علم الحديث عندنا ، نفع الله به.

(١) أخرجه الدارقطنى (٧٥/٢)، والبيهقى (٣٨/٤)، وابن عدى (٢٧١/٧).

(٢) أخرجه الدارقطنى (٧٥/٢ السنن)، والعقيلى (٤٤٩/٣).

يفيد أنهم - أو أحدهم - كان يرفع في التكبيرة الأولى فقط من صلاة الجنازة.

أما الآثار عن التابعين الذين رأوا الرفع في التكبيرة الأولى فقط، فقد روى ذلك بإسناد حسن عن إبراهيم النخعي عند ابن أبي شيبة في المصنف،^(١) وفيه: رأيت إبراهيم إذا صلى على جنازة رفع يديه فكبر، ثم لا يرفع، وكان يكبر أربعاً.

وكذلك روى ابن أبي شيبة^(٢) - رحمه الله تعالى - نحو هذا عن الحسن ابن عبيد الله النخعي بإسناد صحيح. وثم آثار أخرى لكن في أسانيد ضعف.

ومن قال بهذا الرأي أن اليد ترفع مع التكبيرة الأولى فقط: سفيان الثوري، وأبو حنيفة، وأهل الكوفة^(٣)، ورواية عن الإمام مالك - رحمه الله - ثم ابن حزم، والشوكاني - رحمهما الله - ثم الشيخ سيد سابق، والشيخ الألباني - رحمهما الله.

أما القائلون بالرفع مع كل تكبيرة، فلم يثبت لهم أيضاً حديث مرفوع في الباب، فقد ورد في هذا الباب حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عند الدارقطني في العلل^(٤) من طريق عمر بن شبة عن يزيد بن هارون

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ٢٩٦/٣)، والقائل رأيت هو: الوليد بن عبد الله ابن جميع الزهري.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (في المصنف ٢٩٧ / ٣).

(٣) انظر: سنن الترمذي (٣/٣٨٨).

(٤) انظر: الزيلعي في نصب الراية (٢/٢٨٥)، والحافظ في التلخيص الحبير (٢/١٤٦).

عن يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر ، أن النبي ﷺ كان إذا صلى على الجنازة رفعه يديه مع كل تكبيرة .

وهذا مخالف لسائر الروايات عن ابن عمر رضي الله عنهما فعموم الروايات عن ابن عمر على الوقف ليست على الرفع ، ورجح الدارقطني وقفه ، وقد ورد له إسناد آخر عن ابن عمر مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ عند الطبراني في الأوسط^(١) ، وإسناده تالف ، ففيه عباد بن صهيب ، وعبدالله ابن محرز ، وكلاهما متروك .

أما الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم فالثابت لدىّ منها أثر عبدالله بن عمر رضي الله عنهما^(٢) أنه كان يرفع يديه في كل تكبيرة على الجنازة ، وإذا قام من الركعتين ، وله عدة طرق عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما موقوفاً عليه .
وثم آثار أخرى عن الصحابة ، وفيها ضعف .

أما الآثار عن التابعين فقد صح عن قيس بن أبي حازم^(٣) أنه كبر على الجنازة فرفع يديه في كل تكبيرة ، وكذلك صح عن نافع بن جبير^(٤) أنه كان يرفع يديه في كل تكبيرة ، وصح عن موسى بن نعيم^(٥) مولى زيد

(١) انظر : جُمع البحرين (٢/٤١٧) .

(٢) أخرجه البخاري في جزء رفع اليدين (رقم ١١٠ - ١٠٩) ، وأخرجه معلقاً في صحيحه (٣/٢٢٦ مع الفتح) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٣/٢٩٧) .

(٣) أخرجه البخاري في رفع اليدين (رقم ١١٢) ، وعبد الرزاق في المصنف (٣/٤٦٩) ، وابن أبي شيبة (٣/٢٩٦) .

(٤) أخرجه البخاري في رفع اليدين (رقم ١١٤) .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/٢٩٦) .

ابن ثابت أنه قال: من السنة أن ترفع يديك مع كل تكبيرة (وموسى لا نعلم له صحبة)، وصح عن محمد بن سيرين^(١) أنه كان يرفع يديه فى الصلاة على الجنابة، وإذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع، وكان يفعل ذلك مع كل تكبيرة على الجنابة.

وثبت عن الحسن البصرى^(٢) أنه كان يرفع يديه فى كل تكبيرة على الجنابة، وصح عن عطاء^(٣) أنه قال: يرفع يديه فى كل تكبيرة، ومن خلفهم يرفعون أيديهم، وثبت عن مكحول^(٤) أنه كان يرفع يديه مع كل تكبيرة، وكذلك ثبت عن الزهرى^(٥) أنه كان يرفع مع كل تكبيرة على الجنابة.

وتم آثار أخرى وفيها كلام.

والقائلون برفع اليدين مع كل تكبيرة من تكبيرات الصلاة على الجنابة أكثر أهل العلم،^(٦) ومنهم الشافعى^(٧) وأحمد^(٨)، ورواية عن

(١) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف (٢٩٧/٣).

(٢) أخرجه البخارى فى جزء رفع اليدين (رقم ١٢٢).

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف (٢٩٦/٣).

(٤) أخرجه البخارى فى جزء رفع اليدين (١١٦).

(٥) أخرجه البخارى فى جزء رفع اليدين (رقم ١٨٨).

(٦) انظر: جامع الترمذى (٣٧٩/٣).

(٧) انظر: الام للشافعى (٤١٥/١).

(٨) انظر: مسائل أحمد ص ١٣٩.

مالك، ورواية عن أبي حنيفة وداود الظاهري وغيرهم، ومن المعاصرين الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - .

وأخيراً.. فبالنسبة لهذه المسألة - كما قدمنا - لم يصح فيها عن رسول الله ﷺ خبر، لا في إثبات الرفع مع التكبير، ولا في نفيه، فرأى فريق من العلماء - كما قدمنا - أن اليد ترفع مع كل تكبيرة، قياساً على الصلوات المعتادة، فاليد ترفع مع كل تكبيرة أثناء القيام، وأيضاً للأثر الوارد عن ابن عمر رضي الله عنهما بذلك.

ورأى فريق آخر أنها لا ترفع لعدم ورود دليل يثبتها.

والأمر في ذلك واسع، فمن تبني إحدى وجهتي النظر السالفة فله رأيه، ولا ينبغي أن يحدث بين المسلمين خلاف بسبب ذلك، ولا ينبغي أن يحتد شخص، ولا يفعل آخر، بسبب تبنيه لوجهة نظر في هذا الباب، ومعارضة أخيه له، وبالله التوفيق، ومنه العون والسداد.

ومن هذه المسائل:

□ صلاة الجنازة عند القبر لمن فاتته الصلاة عليها (*) □

فيرى كثير من أهل العلم^(١) مشروعية ذلك واستحبابه، بينما يرى فريق آخر من العلماء المنع، وها نحن نورد ذلك بشيء من التفصيل.

(*) ولاخينا في الله رمزي البلاطى رسالة في هذا الصدد.

(١) وهم الجمهور، انظر الفتح (٢٤٣/٣)، وجامع الترمذى (٣٤٧/٣)، والبلغوى (شرح السنة (٣٦٢/٥)).

● يستدل الجمهور القائلون بجواز الصلاة على الميت عند القبر بعد دفن الميت واستحباب ذلك بالآتي:

ما أخرجه البخارى ومسلم^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرَّ بقبرٍ قد دفن ليلاً، فقال: «متى دُفن هذا؟» قالوا: البارحة، قال: «أفلا آذنتموني؟» قالوا: دفناه في ظلمة الليل، فكرهنا أن نوقظك، فقام فصففنا خلفه^(٢)، قال ابن عباس: وأنا فيهم، فصلى عليه.

واستدلوا أيضاً بما في الصحيحين^(٣) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه «أن أسوداً.. رجلاً أو امرأة كان يقيم المسجد فمات، ولم يعلم النبي ﷺ بموته، فذكره ذات يوم فقال: ما فعل ذلك الإنسان؟ قالوا: مات يا رسول الله! قال: أفلا آذنتموني؟ فقالوا: إنه كان كذا وكذا - قصته - قال: فحرقوا شأنه، قال: فدلوني على قبره، فأتى قبره فصلى عليه»^(٤).

واستدلوا أيضاً بحديث أنس عند مسلم^(٥) وفيه: «أن رسول الله ﷺ

(١) البخارى (حديث ١٣٢١)، ومسلم (٩٥٤).

(٢) وهذا يُخرج فعل رسول الله ﷺ عن الخصوصية؛ لكون الصحابة رضوان الله عليهم صلوا معه.

(٣) البخارى (حديث ١٣٣٧)، ومسلم (٩٥٦).

(٤) وقد وقعت في هذا الحديث زيادة عند مسلم، وهى: (إن هذه القبور ممتلئة ظلمة على أهلها، وإن الله ينورها بصلاتي عليهم)، واستدل بها بعض العلماء على أن الصلاة عند القبر خاصة برسول الله ﷺ، لكن هذه الزيادة الراجح فيها أنها مرسلة، وقد رجح الدارقطنى الإرسال، كما فى العلل (٢٠٢/١١)، وأيضاً فقد قدمنا ما يدفع القول بالخصوصية فى حديث ابن عباس السابق.

(٥) مسلم (حديث ٩٥٥).

صلى على قبر».

وكذلك استدلوا بحديث عقبة بن عامر عند البخارى ومسلم^(١)، وفيه: «أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلواته على الميت».

وفى رواية صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين.

وتم استدلالات أخر فى هذا الباب من الأحاديث المرفوعة.

وأيضاً فهناك آثار عن صحابة رسول الله ﷺ، منها :

● أثر عائشة^(٢) رضي الله عنها :

من طريق ابن أبى مليكة قال: «قدمت عائشة بعد موت أخيها بشهر فقالت: أين قبر أخى، فأتت فصلت عليه».

● أثر ابن عمر رضي الله عنهما :

فى المصنف لابن أبى شيبة^(٣) من طريق نافع قال: توفى عاصم بن عمر، وابن عمر غائب، فقدم بعد ذلك قال: «فقال: أرونى قبر أخى، فأروه فصلى عليه».

وتم آثار أخر عن الصحابة رضوان الله عليهم بذلك.

وكذلك تم آثار أخر عن التابعين.

(٥) أخرجه البخارى (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦).

(١) صحيح عن عائشة، أخرجه ابن المنذر فى الاوسط (٥/٤١٤)، وعبدالرزاق

(٣/٥١٨)، وابن أبى شيبة (٣/٣٦١).

(٢) صحيح، مصنف ابن أبى شيبة (٣/٣٦١)، وعبدالرزاق (٣/٥١٩).

أخرج ابن أبي شيبة^(١) بسند صحيح عن ابن عون قال: كنت مع ابن سيرين، ونحن نريد جنازة فسبقنا بها حتى دفنت، قال: فقال ابن سيرين: تعالى حتى نصنع كما صنعوا، قال: فكبر على القبر^(٢) أربعاً.

أما سائر أهل العلم فما هي بعض أقوالهم:

قال الشافعي^(٣) - رحمه الله تعالى - : ولا بأس أن يصلى على القبر بعد ما يُدفن، بل نستحبه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : وله أن يصلى على القبر إذا فاتته الصلاة، هذا مذهب فقهاء الحديث قاطبة، كالشافعي وأحمد وإسحاق وغيرهم.

ومالك لا يرى الإعادة، وأبو حنيفة لا يراها إلا للولى.

وقال النووي - رحمه الله تعالى - :

إذا حضر بعد الصلاة عليه إنسان، ولم يكن صلى عليه، أو جماعة، صلوا عليه، وكانت صلاتهم فرض كفاية بلا خلاف عندنا.

وقال ابن قدامة فى المغنى:

ومن فاتته الصلاة عليه، صلى على القبر.

وجملة ذلك أن من فاتته الصلاة على الجنازة فله أن يصلى عليها،

(١) ابن أبي شيبة (٣/٣٦١).

(٢) يلاحظ أنه عند صلاة الجنازة عند القبر أن التوجه يكون للقبلة، لعموم قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

(٣) الام (١/٤١٤).

ما لم تدفن، فإن دفنت فله أن يصلى على القبر إلى شهر، هذا قول أكثر أهل العلم من أصحاب النبی ﷺ، وغيرهم.

وقال ابن حزم فى المحلى (١٣٩/٥):

والصلاة جائزة على القبر، وإن كان قد صلى على المدفون.

وقال ابن عبدالبر^(١): من صلى على قبرٍ أو جنازةٍ قد صلى عليها، فمباحٌ ذلك له؛ لأن الله لم ينه ولا رسوله، ولا اتفق الجميع على كراهيته، بل الآثار المسندة تميز ذلك، وعن جماعة من الصحابة إجازة ذلك، وفعل الخيرات يجب ألا يمنع إلا بدليل لا معارض له، وبالله التوفيق.

فهذا كم كبير من الأدلة والآثار والأقوال الدالة على استحباب صلاة الجنازة عند القبر لمن فاتته الصلاة عليها.

● أما المانعون لصلاة الجنازة عند القبر لمن لم يصلى عليها، فلم أر لهم دليلاً صحيحاً صريحاً، يصلح للمنع، ويمكن تلخيص ما استدلوا به فى الآتى:

قالوا: إن الصلاة على القبر خاصة برسول الله ﷺ، وذلك لقوله: «إن الله ينورها بصلاتي عليهم».

وأجيب على ذلك بأن هذه اللفظة مُرسلة، كما قدمناه عن الدارقطنى - رحمه الله - وأجيب عليها أيضاً بأن هذه اللفظة ليس فيها نهى عن الصلاة.

وأجيب أيضاً بأن الصحابة قد صلوا مع رسول الله ﷺ ، وبعد رسول الله ﷺ ، وقد قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

واستدلوا على المنع كذلك بما ورد عن رسول الله ﷺ من النهي عن الصلاة على القبور .

وأجيب على ذلك بأن صلاة الجنائز صلاة مستثناة ؛ لكون رسول الله ﷺ وأصحابه قد صلوا الجنائز عند القبر .

وأجيب كذلك بأن الصلاة عليه على قبره من جنس الصلاة عليه على نعشه ، فإنه المقصود بالصلاة في الموضعين ، ولا فرق بين كونه على النعش على الأرض ، وبين كونه في بطنها بخلاف سائر الصلوات ، فإنها لم تشرع في القبور ولا إليها ؛ لأنها ذريعة إلى اتخاذها مساجد .

وقالوا أيضاً: إنه قد ورد عن ابن عمر بإسناد صحيح^(١) ، أنه كان إذا انتهى إلى جنازة وقد صلى عليها دعا وانصرف ولم يعد الصلاة .

وأجيب على هذا بأنه قد ورد أيضاً عن ابن عمر أنه صلى على أخيه بعد دفنه ، وقد قدمنا ذلك ، والمثبت مقدم على النافي ، والقائل بتعدد الأحوال له وجه ، وأيضاً فابن عمر لم ينه عن الصلاة ، والله أعلم .

ويتلخص مما تقدم أن أكثر أهل العلم على جواز الصلاة على الجنائز عند القبر لمن فاتته ، بل وعلى استحباب ذلك ، ومع هذا الذي ذكر فلا

(١) مصنف عبدالرزاق (٣/٤١٩) .

أرى تثيرياً على من تقلد رأى المانعين ، وإن كان رأيه مرجوحاً ، وواجبنا نحوه أن نبين له وجه الصواب من القول الذى يشهد له الدليل ، ونزيل عنه الشبهات التى قد ترد إليه ، ولا يتوسع فى الخلافات المضیعة للجهود ، المقسية للقلوب .

ولا ينبغى لهذا الذى تقلد رأى المرجوح أن يتفوه ، ولا يتناول بتبديع القائلين بمشروعية الصلاة على الجنابة عند القبر لمن فاتته ، ويسوغ لنفسه الخوض فى أعراضهم ومنهم أئمة وجهابذة ، بل هم الأكثرون والجمهور .

تنبيهات :

١ - إذا صلى شخص على جنازة عند القبر فيستقبل القبلة ، ولا يستقبل القبر بالصلاة ، وذلك لعموم قوله تعالى : ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤] .

٢ - وبالنسبة للمدة التى يُصلى فيها من أراد الصلاة على القبر بعد دفنه ، فكم هى ؟ .. لم يرد فى ذلك خبر صحيح عن رسول الله ﷺ .

وقد صح عن عائشة ^(١) رضي الله عنها أنها قدمت بعد موت أخيها بشهر فقالت : أين قبر أخى ، فأتت فصلت عليه .

وتقدم أن عاصم بن عمر مات ، وابن عمر غائب ، فقدم بعد ذلك ، قال أيوب (وهو أحد رواة الحديث) : أحسبه قال : بثلاث ، قال : فقال :

(١) الأوسط لابن المنذر (٥/٤١٤) .

أروني قبر أخى ، فأروه فصلى عليه .

فلذلك جاءت أقوال العلماء متعددة فى هذا الباب .

فقال فريق من العلماء يُصلى عليها إلى شهر، وقال آخرون : إلى ثلاثة أيام، وقال فريق: يُصلى عليه فى أى وقت .

وقال غيرهم: ما لم يبل الجسد؛ لأنه إذا بلى لم يبق ما يصلى عليه، وكأن هذا الأخير هو الأقرب عندى والأوجه، والله تعالى أعلى وأعلم .

٣ - وإذا كان شخص قد صلى على الجنازة مع المسلمين ثم أتى القبر فوجد ناسًا يصلون على الجنازة، فهل له أن يعيد الصلاة معهم؟

لا أرى مانعًا من ذلك، قياسًا على سائر الصلوات، فإن الشخص إذا كان قد صلى صلاة وأتى المسجد فوجد الناس يصلونها صلاها معهم، وكانت له نافلة، كما جاء عن رسول الله ﷺ، ثم إن صلاة الجنازة فيها دعاءٌ للميت، والإلحاح فى الدعاء ، وإلا كثار منه مطلوب ومستحب ومرغَّب فيه، وهذا الذى صححه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - فقال^(١): وأما إذا صلى هو على الجنازة ، ثم صلى عليها غيره، فهل له أن يعيدها مع الطائفة الثانية؟ فيه وجهان فى مذهب أحمد، قيل لا يعيدها، قالوا: لأن الثانية نفل، وصلاة الجنازة لا يتنفل بها .

وقيل: بل له أن يعيدها وهو الصحيح، فإن النبى ﷺ لما صلى على قبرٍ منبوذٍ، صلى معه من كان صلى عليها أولاً، وإعادة صلاة الجنازة من

جنس إعادة الفريضة، فتشريع حيث شرعها الله ورسوله، وعلى هذا فهل يؤم على الجنائزتين مرتين؟ على روايتين، والصحيح أن له ذلك، والله أعلم.

٤ - من دُفن ولم يُصل عليه، فلا شك ولا تردد في جواز الصلاة عليه^(١)، والله تعالى أعلم.

(١) وانظر - إن شئت - : ما ذكره الشوكاني في نيل الأوطار (٤/٦٣).

مسألة الخضاب بالسواد^(١)

هذه المسألة من المسائل التي لأهل العلم فيها آراء ثلاثة، فمن أهل العلم من يقول بتحريم الخضاب بالسواد، ومنهم من يقول بالكراهية فقط (بلا تحريم)، ومنهم من يقول بالجواز بلا كراهية، ولكل قول من هذه الأقوال قوته ووجاهته، وإن كنت أختار منها رأياً، وهذا شيء من البسط للوارد في هذه المسألة:

أما القائلون بالتحريم: فعمدة أدلتهم ديلان:

الدليل الأول: حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم في صحيحه، قال فيه جابر: أتى بأبي قحافة^(٢) يوم فتح مكة، ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً، فقال رسول الله ﷺ: «غيروا هذا بشيء واجتنبوا السواد».

الدليل الثاني: حديث ابن عباس رضي الله عنه الذي أخرجه أبو داود^(٣) بإسناد صحيح، وفيه أن النبي ﷺ قال: «يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة». فهذه بالدرجة الأولى عمدة القائلين بالتحريم.

(١) ولاخينا في الله فريد فويلة بحث في هذا، ولشيخنا مقبل - حفظه الله تعالى - رسالة في تحريم الخضاب بالسواد، ولغيرهما أيضاً.

(٢) أبو قحافة هو عبد الله بن عثمان والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٣) أبو داود حديث (٢٤١٢)، وانظر ما سيأتي قريباً من تعليق على هذا الحديث.

وقد أجيب على ذلك بما حاصله :

بالنسبة للدليل الأول - وهو مجئ أبي قحافة ورأسه كالثغامة - :

فأجاب بعض العلماء عليه بأن هذا واقعة عين خاصة بأبي قحافة ، ومن كان في مثل سنّه ، وفيمن صار شبيهه مستبشعاً^(١) .

ويشهد له ما نقله الحافظ في الفتح عن ابن شهاب قال : «كنا نخضب بالسواد إذا كان الوجه جديداً ، فلما نفّض الوجه والأسنان تركناه» فكبير السن ، الطاعن فيه إذا صبغ شعر رأسه بالسواد رجع كالصبي ، فأصبح مثاراً للسخرية منه والتهكم عليه .

فعلى سبيل المثال : إن كان ثمّ امرأة عجوز طاعنة في السن لبست ثوباً أبيضاً به ورد أحمر ، فإن الناس سيسخرون منها ؛ لكونها ارتدت ثياباً لا يتناسب مع وقارها وسنّها .

أما الجواب على الدليل الثاني ، وهو : «يكون قوم في آخر الزمان يخضبون بالسواد» :

فقد أجيب عليه بما حاصله أنه يحتمل أن يكون المعنى أنهم لا

(١) وإلى هذا أشار ابن أبي عاصم في جوابه عن الحديث - كما نقل عنه الحافظ في الفتح (٣٦٧/١٠) - فقد قال الحافظ في الفتح : وقد رخص فيه (أي في الخضاب بالسواد) طائفة من السلف منهم سعد بن أبي وقاص ، وعقبة بن عامر والحسن والحسين وجريّر ، وغير واحد ، واختاره ابن أبي عاصم في «كتاب الخضاب» له وأجاب عن حديث ابن عباس رفعه «يكون قوم يخضبون بالسواد لا يجدون ريح الجنة» بأن لا دلالة فيه على كراهة الخضاب بالسواد ، بل فيه الإخبار عن قوم هذه صفتهم ، وعن حديث جابر «وجنبوه السواد» بأنه في حق من صار شيب رأسه مستبشعاً ، ولا يطرد في حق كل أحد .

يريحون رائحة الجنة لأفعالٍ وبدعٍ في الدين تصدر منهم، ويكون من سيماهم الصبغ بالسواد، لا أن المراد بالدرجة الأولى ذم الصبغ بالسواد.

وإلى هذا أشار ابن الجوزي في الموضوعات بقوله^(١):

«واعلم أنه قد خضب جماعة من الصحابة بالسواد منهم الحسن والحسين وسعد بن أبي وقاص، وخلق كثير من التابعين، وإنما كرهه قوم لما فيه من التدليس، فأما أن يرتقى إلى درجة التحريم، إذ لم يدلس فيجب فيه هذا الوعيد، فلم يقل بذلك أحد، ثم نقول على تقدير الصحة: يحتمل أن يكون المعنى لا يريحون رائحة الجنة لفعل يصدر منهم أو اعتقاد، لا لعلة الخضاب، ويكون الخضاب سيماهم، فعرفهم بالسيما كما قال في الخوارج سيماهم التحليق، وإن كان تحليق الشعر ليس حراماً»^(٢).

ومع هذا الذي ذكرناه من أوجه الجواب إلا أنه قد ذهب فريق من أهل العلم إلى القول بالتحريم كذلك.

قال النووي - رحمه الله تعالى (٣) - : ومذهبنا استحباب خضاب الشيب للرجل والمرأة بحمرةٍ أو صُفْرةٍ ، ويحرم خضابه بالسواد على

(١) وقد أورد ابن الجوزي الحديث في الموضوعات باعتبار أن في إسناده عبد الكريم، وذهب ابن الجوزي إلى أنه عبد الكريم بن أبي المخارق، وعبد الكريم هذا غير ثقة، فمن ثم حكم ابن الجوزي على الحديث بالضعف، لكن قد وقع في بعض نسخ أبي داود نسبة عبد الكريم وهو (الجزري)، وعبد الكريم الجزري ثقة، فالله أعلم.

(٢) ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٥٥).

(٣) شرح مسلم (ط . الشعب ٤ / ٨١٢).

الأصح، وقيل يكره كراهة تنزيه، والمختار التحريم لقوله ﷺ: «واجتنبوا السواد» هذا مذهبنا.

أما القائلون بالكراهية فهم كثير، وهذه بعض أقوالهم والآثار عنهم بذلك:

● أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه^(١) بإسناد صحيح عن مجاهد أنه كره الخضاب بالسواد.

● وكذلك أخرج ابن أبي شيبة^(٢) بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير، وسئل عن الخضاب بالوسمة، فكرهه، فقال: يكسو الله العبد في وجهه النور، ثم يطفؤه بالسواد.

● وأخرج أيضاً^(٣) بإسناد حسن عن محمول أنه كره الخضاب بالسواد.

● وأخرج الطبراني بإسناد صحيح^(٤) إلى خالد الحذاء قال: كان أبو قلابة يخضب بالوسمة ثم تركها بعد ذلك.

● وفي «الموطأ»^(٥) قال يحيى: سمعت مالكا يقول في صبغ الشعر بالسواد: لم أسمع في ذلك شيئاً معلوماً، وغير ذلك من الصبغ أحب إليّ.

(١) المصنف (٢٥١/٨) أثر (٥٠٨١).

(٢) المصنف لابن أبي شيبة أثر (٥٠٨٢).

(٣) المصدر السابق.

(٤) تهذيب الآثار (٨٨٣) الجزء المفقود.

(٥) الموطأ (٢/٩٥٠).

● وقال ابن عبد البر في «الاستذكار»^(١) : وأما قول مالك في الصبغ بالسواد أن غيره من الصبغ أحب إليه، فهو كذلك ؛ لأنه قد كره الصبغ بالسواد أهل العلم، وقد قال رسول الله ﷺ - عام الفتح إذ أتى بأبي قحافة ورأسه كأنه ثغامة - : «غيروا شعره وجنبوه السواد» .

● وقال ابن قدامة في «المغنى» : ويكره الخضاب بالسواد، قيل لأبي عبد الله: تكره الخضاب بالسواد؟ قال: إى والله.

أما الذين خضبوا بالسواد ورأوا جوازه فهم كثير أيضاً:

فمنهم الحسين بن على بن أبى طالب رضي الله عنه .

فقد أخرج البخارى في «صحيحه»^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن على فجعل في طست، فجعل ينكتُ ، وقال في حُسْنِهِ شيئاً، فقال أنس: كان أشبههم برسول الله ﷺ، وكان مخضوباً بالوسمة^(٣) .

وأخرج الطبرانى في «المعجم الكبير»^(٤) بإسناد صحيح عن العيزار بن حريث قال: رأيت الحسين بن على يخضب بالسواد.

وأخرج الطبرانى^(٥) أيضاً في «المعجم الكبير» بإسناد حسن أن الحسن ابن على رضي الله عنه كان يخضب بالسواد.

(١) الاستذكار : (٢٧/٨٥).

(٢) البخارى حديث (٣٧٤٨).

(*) قال الحافظ فى الفتح (٩٦/٧) : الوسمة نبتٌ يختضب به يميل إلى سواد.

(٣) المعجم الكبير (٢٧٨٦).

(٤) المعجم الكبير (٢٥٣٥).

وكذلك صح عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه كان يخضب بالسواد ،
ويقول: نسود أعلاها وتأبى أصولها^(١).

وأخرج الطبري^(٢) بإسناد صحيح عن الحسن البصري أنه كان لا يرى
بأساً بالخضاب بالسواد.

وأخرج الطبري^(٣) أيضاً بإسناد صحيح عن شعبة قال: رأيت عمر
ابن أبي سلمة يخضب بالسواد.

وأخرج الطبري^(٤) كذلك بإسناد حسن أن عروة بن الزبير كان
يخضب بالوسمة.

وقال محمد بن علي عن الخضاب بالسواد: هو خضابنا أهل
البيت^(٥).

وصح كذلك عن أبي سلمة أنه كان يخضب بالسواد^(٦).

وصح عن ابن عون أنه قال: كانوا يسألون محمداً عن الخضاب
بالسواد فقال: لا أعلم به بأساً^(٧).

وكذلك صح عن إبراهيم النخعي أنه قال: لا بأس بالوسمة، وإنما

(١) ابن أبي شيبة (٢٥٠ / ٨) أثر (٥٠٧٨).

(٢) الطبري (٨٦٦).

(٣) الطبري (٨٩٥).

(٤) الطبري (٨٨٦).

(٥) ابن سعد في «الطبقات» (٢٤٧ / ٥ - ٢٤٨) ، وابن أبي شيبة أثر (٥٠٧٥).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٤٩ / ٨) أثر (٥٠٧٣).

(٧) ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٤٩ / ٨) أثر (٥٠٧٢).

وصح عن الزهرى أنه كان يصبغ بالسواد أيضاً^(٢).

ومما استدل به المجوزون حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم».

قالوا: فهذا نص عام فى تجويز الصباغ بعمومه.

والجامل عندي فى هذه المسألة - بعد هذا العرض السريع -:

أن الأمر فى الصبغ بالسواد على الكراهية، ولا يصل حكمه إلى التحريم، والله تعالى أعلم.
هذا وبالنسبة للنساء:

فهذه الكراهية المذكورة تقل فى حقهم، ما لم يكن فى صبغهن بالسواد غش ولا تدليس، وقد ذهب إلى الجواز إسحاق بن راهوية^(٣)، وغيره من أهل العلم^(٤).

وذلك لأن النساء ينشأن فى الحلية منذ الصغر، كما قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحَلِيِّهِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرَ مُبِينٍ﴾ (١٨). [الزخرف: ١٨]
ومع أن الذهب والحريير حرام على الرجال، إلا أنهما حلال للإناث كما هو معلوم، والله أعلم وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) أخرجه أحمد (٣٠٩/٢).

(٣) انظر: «عون المعبود» (٥٨/١١).

(٤) نقل ذلك عنهم الحفاظ فى «الفتح» (٣٦٧/١٠)، وانظر مصنف عبدالرزاق (٢٠١٨٢).

مسألة فيمن ترك صلاة من الصلوات المفروضة عمداً هل يقضيها بعد توبته أم لا؟

ذهب أكثر أهل العلم إلى أن الصلاة التي تركها المرء عامداً حتى انتهى وقتها يلزم أن تُصلى ، وعلى من تركها أن يعيدها .

ومن نقل ذلك فريق من العلماء منهم ابن عبد البر في الاستذكار ، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في مجموع الفتاوى^(١) ، فقد قال : «وأما من فوتها متعمداً فقد أتى كبيرة من أعظم الكبائر ، وعليه القضاء عند جمهور العلماء» .

ومنهم النووي - رحمه الله تعالى^(٢) - فقد قال : «أجمع العلماء الذين يعتد بهم على أن من ترك صلاة عمداً لزمه قضاؤها ، وخالفهم أبو محمد على بن حزم ، فقال : لا يقدر على قضائها أبداً ، ولا يصح فعلها أبداً ، قال : بل يكثّر من فعل الخير وصلاة التطوع ، ليثقل ميزانه يوم القيامة ، ويستغفر الله تعالى ويتوب ، وهذا الذي قاله مع أنه مخالف للإجماع باطل من جهة الدليل » ، وبسط^(٣) هو الكلام في الاستدلال له ،

(١) مجموع الفتاوى (٣٩/٢٢) .

(٢) المجموع (شرح المذهب ٣ / ٧١) .

(٣) يعني النووي أن ابن حزم بسط في سرد الاستدلالات لمذهبه ، وليس فيما أورده دلالات أصلاً .

وليس له فيما ذكر دلالة أصلاً.

قلت (مصطفى) : وإيرادى لهذه المسألة لبيان دليل فهم على غير وجهه، وتقلد هذا الفهم كثير من إخواننا الصالحين، فأردت بيان هذه المسألة، وما في الدليل الذي استدلووا به من فقه وتوجيه، حتى لا يشتد نكير قوم على قوم، وقد يكون مع المستكر الزلل.

ومن الحديث الذي فهم على غير وجهه واستدل به البعض على منع من تعمد ترك الصلاة حتى فات وقتها من إعادتها:

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه فيه أن النبي ﷺ قال: «من نسى صلاةً أو نام عنها فكفارتها أن يصلّيها إذا ذكرها»^(١).

● وفي رواية : «إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله يقول: أقم الصلاة لذكرى»^(٢).

● وفي الثالثة : «من نسى صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك»^(٣).

● وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من نسى الصلاة فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله قال: أقم الصلاة لذكرى»^(٤).

(١) مسلم (ص ٤٧٧).

(٢) نفس المصدر.

(٣) عند البخاري (حديث ٥٩٧)، ومسلم (٤٧٧).

(٤) مسلم (حديث ٦٨٠).

فهذه الأحاديث قد فهمها البعض على غير وجهها اللائق بها .

ففهمها البعض على أن الصلوات التي تقضى فقط هي الصلوات التي نام عنها المرء أو نسيها، قالوا: وما سوى ذلك فلا يقضى إذا تركه الشخص منعمداً .

قلت : وليس في الحديث ما يفيد ذلك ، فليس في الحديث أن الفوائت لا تقضى بحالٍ من الأحوال، وإنما الذي في الحديث أن من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها .

ووجه ذلك عندي - والله تعالى أعلم - وهو قول عددٍ من أهل العلم أن النائم عن الصلاة حتى فاته وقتها، وكذلك الناسي لها حتى فات وقتها، قد يظن لنومه، أو لنيانته أن الصلاة قد سقطت عنه، ولم يعد مطالباً بها، فقليل لمن هذا ظنه: لا تظن ذلك أيها النائم، وأيها الناسي ، بل الصلاة مازالت في ذمتكما ، فمن نام عن صلاة ، فلا يظن أن هذه الصلاة قد سقطت عنه .

ومن نسي صلاة فلا يظن أن هذه الصلاة قد سقطت عنه^(١) . بل لزماً على هذا وذاك أن يأتيها بها إذا ذكرها .

هذا ومما يعكر على القول القائل بأن الصلاة التي تقضى هي التي نام عنها المرء أو نسيها فقط أن النبي ﷺ صلى العصر بعد أن غربت الشمس يوم الأحزاب، وقال: «ملا الله بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا

(١) وعلى سبيل المثال: الصائم الناسي ، قد يأكل ويشرب، ولكن لا يؤثر الطعام والشراب في صومه ، فلهذا قد يظن ظان أن الناسي للصلاة قد سقط عنه فرضها .

عن الصلاة حتى غربت الشمس»، فلم يكن صلوات الله وسلامه عليه نائماً ولا ناسياً.

فعلى هذا الذى ذكرناه آنفاً ، من أن النائم والناسى يقضيان الصلاة فغيرهما من باب أولى، أعنى المتعمد للترك ، ثم تاب من ذلك .

قال ابن عبد البر فى «الاستذكار»^(١) :

فإن قيل : لم خُصَّ النائم والناسى بالذكر فى قوله فى هذا الحديث : «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها؟» .

قيل : خُصَّ النائم والناسى ليرتفع الظن فيهما برفع القلم فى سقوط المآثم عنهما بالنوم والنسيان، فأبان رسول الله ﷺ أن سقوط الإثم عنهما غير مُسقطٍ لما لزمهما من فرض الصلاة، وأنها واجبة عليهما عند الذكر لها، يقضيها كل واحد منهما، بعد خروج وقتها إذا ذكرها .

ولم يحتج إلى ذكر العامد معهما ؛ لأن العلة المتوهمه فى الناسى والنائم ليست فيه ولا عذر له فى ترك فرض قد وجب عليه من صلاته إذا كان ذاكرًا له .

قلت : وما هو موطن قضيت فيه الصلاة، وقد تركت عن غير نوم أو نسيان ، ففى الصحيحين^(٢) أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعدما غربت الشمس فجعل يسبُّ كفار قريش، قال : يا رسول الله ! ما كدت أصلى حتى كادت الشمس تغرب، قال النبى ﷺ : «والله ما صليتها»،

(١) الاستذكار : (١/ ٣٠٠).

(٢) البخارى (حديث ٥٩٦) ، ومسلم (حديث ٦٣١).

فقمنا إلى بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها، فصلى العصر بعدما غربت الشمس ، ثم صلى بعدها المغرب».

وها هو حديث آخر أيضاً:

أخرج البخارى ومسلم^(١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب: «لا يُصلين أحدُ العصر إلا في بنى قريظة» فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلى حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل يُصلى ، لم يُرد منا ذلك، فذكر للنبي ﷺ فلم يعتف واحداً منهم.

قلت: فعلى هذا، فقد أصبح هذا الدليل «من نام عن صلاة أو نسيها فصلاتها حين يذكرها» يستدل به على القضاء، أعنى قضاء الصلاة التى تركها صاحبها متعمداً حتى فات وقتها إذا هو تاب، ولا يستدل به على عدم القضاء كما فهمه البعض مخالفين بذلك الجمهور.

ومن الأدلة على القضاء أيضاً ما يلي:

حديث ابن عباس رضي الله عنهما فى الصحيحين^(٢) ، وفيه أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن أمى مات وعليها صوم، فقال ﷺ: «أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه؟» قالت: نعم، قال: «فدين الله أحق بالقضاء».

(١) البخارى (حديث ٩٤٦) ، ومسلم (حديث ١٧٧٠).

(٢) البخارى (حديث ٧٣١٥) ، ومسلم (حديث ١١٤٨).

ووجه الاستشهاد بهذا الحديث يتمثل في أن الصلاة قد أمر بها المرء فأصبحت ديناً عليه، والمدين يلزمه أن يقضى ما عليه من دين، فهو وإن كان آثماً بتركه الصلاة حتى انقضى وقتها لكن يسقط عنه الطلب بأدائها، وكمزيد إيضاح لذلك نقول:

إن تارك الصلاة حتى ينقضى وقتها يآثم لتركها، ويآثم لتأخيرها، فهو مطالب أصلاً بأدائها، ومطالب بأدائها في وقتها، فإذا قضاها بعد انتهاء وقتها سقط عنه إثم المطالبة بها، ويبقى عليه إثم التخلف عن قضائها في وقتها، إن شاء الله أن يعاقبه عليه عاقبه، وإن شاء أن يعفو عنه عفا.

وإلى نحو هذا أشار العلماء.

فقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - ^(١):

وجوب القضاء على العامد بالخطاب الأول؛ لأنه قد خوطب بالصلاة وترتبت في ذمته فصارت ديناً عليه، والدين لا يسقط إلا بأدائه، فيآثم بإخراجه لها عن الوقت المحدود لها، ويسقط عنه الطلب بأدائها، فمن أفطر في رمضان عامداً، فإنه يجب عليه أن يقضيه مع بقاء إثم الإفطار عليه، والله أعلم.

قال ابن عبد البر - رحمه الله - ^(٢):

والصلاة والصيام كلاهما فرض واجب، ودين ثابت يودى أبداً،

(١) الفتح (٧١/٢).

(٢) الاستذكار (٣٠١/١).

وإن خرج الوقت المؤجل لهما، قال رسول الله ﷺ : «دين الله أحق أن يقضى».

ومما استدل به أيضاً:

ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال^(١): «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء، قال الرب عز وجل: انظروا هل لعبدي من تطوع، فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك»^(٢) وهو حديث حسن بمجموع طريقه.

فإن كانت الفرائض تجبر بالنوافل ، فلأن تؤدي الفرائض نفسها فمن باب أولى.

ومن الاستدلالات كذلك أيضاً:

ما أخرجه البخارى ومسلم^(٣) من حديث طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس يُسمع دوى صوته، ولا يفقه ما يقول حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ : «خمس صلوات فى اليوم واللييلة» فقال: هل على غيرها؟ قال : «لا .. إلا أن تطوع ...» الحديث.

(١) الترمذى (حديث ٤١٣) ، والنسائى (٢٣٢/١).

(٢) له طرق عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وقد اختلف فى رفعه ووقفه، وكذلك من حديث تميم الدارى رضى الله عنه مرفوعاً وموقوفاً أيضاً، وفى الجملة فالحديث يحسن بمجموع طريقه، والله أعلم.

(٣) البخارى (حديث ٤٦) ، ومسلم (حديث ١١).

فأفاد هذا الحديث أن على المسلم خمس صلوات في اليوم واللييلة، ومادامت عليه فهي دينٌ سيُسأل عنه يوم القيامة، ومادام دينًا فلا بد من سداده، وإن تأخر وقت السداد.

ومما استدل به كذلك في هذا الباب :

ما أخرجه البخارى ^(١) ومسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح، ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر».

ووجه الدلالة من ناحية أن هذا المصلى الذى قد أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس سيصلى ثلاث ركعات بعد غروبها، أى بعد انقضاء وقتها، وليس فى الحديث تفريق بين متعمدٍ وغير متعمدٍ. وكذلك الذى أدرك ركعة من الصبح قبل طلوع الشمس فسيكون قد أدرك ركعة بعد طلوعها.

وهذا والذى قبله قد صليا بعض الركعات فى غير وقت الصلاة المشروع لها، فهذا هو وجه الاستدلال لقضاء الفوائت لمن تركها متعمداً أو غير متعمدٍ، والله تعالى أعلم.

ومما استدلوا به كذلك القياس على الصيام:

قالوا : فكما أن المفطر المتعمد فى رمضان ثم تاب من ذنبه عليه

(١) البخارى (حديث ٥٧٩) ، ومسلم (حديث ٦٠٨).

القضاء بالإجماع فكذلك تارك صلاة الفرض المتعمد عليه انقضاء كذلك إذا هو تاب .

قال ابن عبد البر - رحمه الله تعالى - ^(١) في الاستذكار :

وأجمعت الأمة ، ونقلت الكافة فيمن لم يصم رمضان عامداً ، وهو مؤمن بفرضه ، وإنما تركه شراً وبطراً تعمّد ذلك ، ثم تاب عنه ، أن عليه قضاءه ، فكذلك من ترك الصلاة عامداً فالعامد والناسي في القضاء للصلاة والصيام سواء ، وإن اختلفا في الإثم .

قلت : فبعد هذا العرض السريع لهذه الأدلة وبعض أقوال العلماء نرى - والله تعالى أعلم - أن الصواب مع من قال بالقضاء ، غير مبدين للرأى الآخر .

وقد يقول قائل : إن مثل هذا الأمر بالقضاء قد يشق على رجل ترك الصلاة سنوات طويلة ، فنقول : إن الله قال : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦] ، وقال : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، فليتنق مثل هذا ربه قدر استطاعته ، والله تعالى أعلم ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

وهذه لفظة في

باب

تصحيح الأحاديث وتضعيفها

فى بعض الأحيان تختلف وجهات نظر بعض علماء الحديث فى الحكم على الحديث بالصحة أو الضعف، نظراً لوجود قرائن يراها البعض مسوغة للتصحيح أو التضعيف، فتختلف وجهات نظرهم فى الحكم على حديث ما فبعضهم يصححه وبعضهم يضعفه، ولكل وجهة، فمادامت الأقوال لها وجه فلا ينبغي أن يُشدد الشخص فى هذا الجانب، بل ينبغي أن يختار رأى الذى رآه صواباً ولا يشرب ولا يشدد على أصحاب الرأى الآخر، اللهم إلا إذا اشتد ضعف الحديث أو أطبق أو كاد يطبق علماء الحديث على تضعيفه، أو كان الضعف بيناً على إسناده أو على متنه.

فعلى سبيل المثال حديث حفصة رضي الله عنها أن النبى ﷺ قال: «لا صيام لمن لم يبيت النية» قد صححه فريق من أهل العلم؛ لمجيئه من طرقٍ صحيحة، فلذلك صححوه، ولكن رأى فريق من أهل العلم أن هذا الحديث ضعيف؛ لكونه معلً بالوقف، فقال عدد من أهل العلم: إن الصواب فى هذا الحديث الوقف، ليس الرفع إلى رسول الله ﷺ، ومن الذين اختاروا الحكم عليه بالوقف الإمام البخارى - رحمه الله تعالى - وكذلك أبو داود والترمذى والنسائى وأبو حاتم الرازى .. وغيرهم.

ففى مثل هذه الحال ينبغى أن تتسع الصدور لاستقبال الرايين ، ومن ثمّ الحكم الفقهي المبني على ذلك ، وإن كان فى الباب وجهٌ راجحٌ ، وآخر مرجوح ، مع أننى أختار ما ذهب إليه الأئمة - البخارى ومن معه رحمهم الله - والله تعالى أعلم .

ولهذا أمثلة ونماذج متعددة بسطت الحديث عليها فى كتابى «شرح علل الأحاديث» ، فلينظره من شاء .

توقير العلماء واجلالهم مع العلم بأن كلاً يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ

فأهل العلم أشد الناس خشية لله ، وأعلمهم بحدوده ، وأكثرهم تعظيماً له ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٨) .

[آل عمران: ١٨]

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ . [فاطر: ٢٨]

وقال عز من قائل : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (٩) . [الزمر: ٩]

وقال سبحانه : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾ . [الرعد: ١٩]

فأبان الله بعض قدرهم في هذه الآيات ورفع شأنهم في آيات أخرى ، فقال سبحانه : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ .

[المجادلة: ١١]

فتوقيرهم إذن لازم واحترامهم متعين ، وتبجيلهم مطلوب والدعاء لهم من شيم الأوفياء الصالحين ، والاستغفار لهم سبيل المتقين ، وقد أمرنا الله بسؤالهم عما أشكل علينا ، قال سبحانه : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣) . [النحل: ٤٣]

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ .

[النساء: ٨٣]

وأولو الأمر هم أهل العلم هنا بالدرجة الأولى، وثمّ قول آخر في أولى الأمر أنهم الأمراء، والقول ينتظم بأن يقال إنهم الأمراء والعلماء. كل هذا واجب تجاه العلماء وأكثر منه واجب، وكلما ازداد توقير الشخص لأهل العلم دلّ ذلك على فقهه، وحسن خلقه، ألا ترى إلى ابن عباس رضي الله عنه ابن عم رسول الله ﷺ عندما يأخذ لزيد بن ثابت رضي الله عنه - وكان من أعلم الصحابة بالفرائض - بلجام ناقته، فيقول له زيد: يا ابن عم رسول الله دع عنك لجام الدابة، فيقول: لا، هكذا نفعل بعلمائنا وعظمائنا وكبرائنا^(١)!!

وهذا غيض من فيض، وقطرة من سيل مما ورد في توقير السلف لأهل العلم - رحمهم الله - إلا أن كل ذلك لا يعنى أننا نقبل منهم - جزاهم الله خيراً - الأقوال المخالفة للأدلة، أو العارية عنها، بل نسأل قدر الاستطاعة عن الدليل من الكتاب والسنة، فقد يخفى على عالم فاضل، وشيخ جليل دليل من الأدلة، فالله سبحانه هو الذي أحاط بكل شيء علماً، وقد يحتج عالم بدليل قد نسخ وخفى عليه ذلك و... إلى غير ذلك من المعاذير التي تقبل منهم، وتجعل هذه الأخطاء مغمورة في بحر فضائلهم، فالعالم المجتهد إن أخطأ له أجر، وإن أصاب له أجران،

(١) أخرج ابن سعد في الطبقات (١١٦/٢/٢) من طريق الشعبي، قال: أخذ ابن عباس لزيد بن ثابت بالركاب، فقال: تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال: هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا. وإسناده صحيح.

هذا موقفهم أمام الله ، أما المتبعون فلا يجوز لهم أن يعدلوا عن قول رسول الله ﷺ ، لقول أحد من الناس بعد تبين حديث رسول الله ﷺ لهم ، فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى برد الأمر إليه عز وجل ، وإلى رسوله ﷺ عند التنازع .

قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩ ﴾ . [النساء : ٥٩]

وقال تعالى في شأن نبيه محمد ﷺ : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ . [النجم : ٣ - ٤]

أما أصحاب نبينا ﷺ فهم خير الناس ، وأفضل العلماء ، والقرآن على نبيهم نزل ، وعليهم تلى ، وفيهم رسول الله ﷺ يرفع لهم ما أشكل ويوضح لهم ما غمض ، ومع هذا كله - وهم أصحاب نبينا ﷺ - صدرت من كثير منهم فتاوى مجانية للصواب نجمت عن عدم وصول دليل إليهم ، أو إلى اجتهد في فهم نص خولفوا فيه أو غياب وجه من وجوه الاستدلال عنهم أو ... أو ... إلا أن هذه الأخطاء مغمورة في بحر فضائلهم بإذن الله العلي الكبير .

فمثلاً :

● حبر أمتنا وابن عم نبينا محمد ﷺ وردت عنه الفتوى بإباحة نكاح المتعة في بعض الأحيان^(١) ، ومن المعلوم أن المتعة حُرمت للأبد .

(١) أخرج البخارى مع الفتح (١٦٦/٩) ، من طريق أبي جمرة قال : سمعت ابن عباس يُسأل عن متعة النساء فرخص ، فقال له مولى له : إنما ذلك في الحال الشديد ، وفي النساء قلة ، أو نحوه ، فقال ابن عباس : نعم . وفي صحيح =

● وأبو طلحة الصحابي الجليل يرى أن البرد لا يفطر الصائم؛ لأنه^(١) عنده ليس بطعام ولا بشراب!!

● وابن عمر رضي الله عنهما يرد عنه جواز نكاح المرأة في دبرها^(٢)!

ولا يخفى على المطلع النهى الشديد عن ذلك.

● وأبوه عمر رضي الله عنه الخليفة الراشد ، وخلفه عثمان رضي الله عنه الخليفة الراشد أيضاً يمنعان الناس من التمتع في الحج!!

ويعترض على ذلك عمران بن حصين وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما^(٣) وقد جاء التمتع في كتاب الله، وأمر به رسول الله ﷺ أصحابه!!

= مسلم (ص ١٠٢٨) أن علياً سمع ابن عباس يُلين في متعة النساء، فقال: مهلاً يا ابن عباس ، فإن رسول الله ﷺ نهى عنها يوم خيبر، وعن لحوم الحمر الإنسية. وانظر كتابنا: «أحكام النكاح».

(١) أخرج أحمد (٣/٢٧٩) بإسناد صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: مطرنا برداً وأبو طلحة صائم، فجعل يأكل منه، قيل له: أأأكل وأنت صائم، فقال: إنما هذا بركة.

(٢) أخرج ابن جرير الطبري - رحمه الله - في تفسيره (بإسناد صحيح) عن نافع قال: كان ابن عمر إذا قرئ القرآن لم يتكلم قال: فقرأت ذات يوم هذه الآية: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] فقال: أتدرى فيمن نزلت هذه الآية؟ قلت: لا، قال: نزلت في إتيان النساء في أدبارهن.

(٣) أخرج البخاري (١٥٥٩)، ومسلم (١٢٢١) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قدمت على رسول الله ﷺ وهو منيخ بالبطحاء فقال: «بم أهملت؟» قال: قلت: أهملت بإهلال النبي ﷺ، قال: «هل سقت من هدى؟» قلت: لا، قال: «فطف بالبيت وبالصفاء والمروة ثم حل» فطف بالبيت وبالصفاء والمروة ثم أتيت امرأة من قومي فمشطتني وغسلت رأسي فكتفت أفنتي الناس بذلك في إمارة أبي بكر وإمارة عمر، فإني لقائم بالموسم إذ جاءني رجل فقال: إنك لا تدري =

● وأبو هريرة رضي الله عنه يتوضأ حتى يصل بالوضوء إلى إبطيه ، وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَأَيَّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ ^(١)!! [المائدة: ٦]

● وعبدالله بن مسعود رضي الله عنه وهو من أكثر الناس ملازمة لرسول الله ﷺ يرى التطبيق في الصلاة (أى وضع اليدين بين الرجلين أثناء الركوع ،

= ما أحدث أمير المؤمنين فى شأن النسك، فقلت: أيها الناس من كنا أفتيناه بشيء فليتبد ، فهذا أمير المؤمنين قادم عليكم فيه فأتموا، فلما قدم قلت: يا أمير المؤمنين ما هذا الذى أحدثت فى شأن النسك؟ قال: إن نأخذ بكتاب الله، فإن الله عز وجل قال: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] ، وإن نأخذ بسنة نبينا ﷺ فإن النبى ﷺ لم يحل حتى نهر الهدى.

وأخرج البخارى ومسلم من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: تمتعنا على عهد رسول الله ﷺ فنزل القرآن، قال رجل برأيه ما شاء، وفى رواية: ثم لم ينزل فيها كتاب الله، ولم ينه عنها نبى الله ﷺ، قال رجل فيها برأيه ما شاء. قال الحافظ فى الفتوح : (٤٣٣/٣): والاولى أن يُفسر (أى هذا الرجل) بعمر ، فإنه أول من نهى عنها، وكان من بعده كان تابعا له فى ذلك، ففى مسلم أيضا أن ابن الزبير كان ينهى عنها وابن عباس يأمر بها فسألوا جابرا فأشار إلى أن أول من نهى عنها عمر.

وأخرج البخارى (١٥٦٩)، ومسلم (١٢٢٣) من طريق سعيد بن المسيب - رحمه الله - قال: اختلف على وعثمان رضي الله عنه وهما بعسفان فى المتعة، فقال على: ما تريد إلا أن تنهى عن أمر فعله النبى ﷺ، فلما رأى ذلك على أهل بهما جميعا، وفى رواية : فقال عثمان: دعنا منك، فقال: إني لا أستطيع أن أدعك.

(١) أخرج مسلم (٢٥٠) من طريق أبى حازم قال: كنت خلف أبى هريرة وهو يتوضأ للصلاة ، فكان يمد يده حتى تبلغ إبطه، فقلت له: يا أبا هريرة! ما هذا الوضوء؟ فقال: يا بنى فروخ أنتم ههنا؟ لو علمت أنكم ههنا ما توضأت هذا الوضوء، سمعت خليلي يقول: : «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء».

وليس على الركبتين) حتى يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : رحم الله أبا عيد الرحمن ، قد كنا نفعل ذلك ثم نهينا^(١) .

● وعمر رضي الله عنه يخفى عليه حديث الاستئذان ثلاثاً ، ويطلب من أبي موسى الأشعري رضي الله عنه البيئة عليه^(٢) .

(١) أخرج مسلم (٥٣٤) من طريق الأسود وعلقمة قالا : أتينا عبد الله بن مسعود في داره ، فقال : أصلى هؤلاء خلفكم ؟ فقلنا : لا ، قال : فقوموا فصلوا ، فلم يأمرنا بأذان ولا إقامة ، قال : وذهبنا لنقوم خلفه فأخذ بأيدينا فجعل أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله ، قال : فلما ركع وضعنا أيدينا على ركبتنا ، قال : فضرب أيدينا وطبق بين كفيه ، ثم أدخلهما بين فخذه ، قال : فلما صلى قال : إنه ستكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن ميقاتها ويخنقونها إلى شرق الموتى^(*) ، فإذا رأيتموهم قد فعلوا ذلك ، فصلوا الصلاة لميقاتها واجعلوا صلاتكم معهم سبحة^(**) ، وإذا كنتم ثلاثة فصلوا جميعاً ، وإذا كنتم أكثر من ذلك فليؤمكم أحدكم ، وإذا ركع أحدكم فليفرش ذراعيه على فخذه وليجنأ^(***) ، وليطبق^(****) بين كفيه فللكأني أنظر إلى اختلاف رسول الله ﷺ فأراهم .

وأخرج مسلم (٥٣٥) من طريق مصعب بن سعد (أى ابن أبي وقاص) قال : صليت إلى جنب أبي ، قال : وجعلت يدي بين ركبتى ، فقال لى أبى : اضرب بكفيك على ركبتك قال : ثم فعلت ذلك مرة أخرى فضرب يدي ، وقال : إنا نهينا عن هذا ، وأمرنا أن نضرب بالاكف على الركب .

(٢) أخرج البخارى (٦٢٤٥) ، ومسلم (٢١٥٣) من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه =

(*) قال ابن الأعرابي : فيه معنيان أحدهما : أن الشمس فى ذلك الوقت وهو آخر النهار إنما تبقى ساعة ، ثم تغيب ، والثانى : من قولهم شرق الميت بريقه ، إذا لم يبق بعده إلا يسيراً ثم يموت .
(**) سبحة أى : نافلة .

(***) قال النووى - رحمه الله - : ومعناه الانعطاف والانحناء فى الركوع .

(****) التطبيق : هو أن يجمع بين أصابع يديه ويجعلهما بين ركبتيه فى الركوع .

● وكذلك أيضاً أمير المؤمنين عمر يخفى عليه أمر التيمم ، ويذكره به عمار بن ياسر رضي الله عنه ولا يذكر ^(١)!!

● وكذلك عائشة رضي الله عنها ترى أن رضاع الكبير يحرم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ ^(٢)!!
[البقرة: ٢٣٣]

= قال كنت في مجلس من مجالس الانتصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثاً، فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله ﷺ: «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع»، فقال: والله لتقيمن عليه بيته، أمتكم أحد سمعه من النبي ﷺ، فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك، وللحديث سياق آخر أوضح.

(١) أخرج البخاري (٣٣٨)، ومسلم (ص ٢٨١) من طريق عبدالرحمن بن أبزي قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: إني أجنت فلم أصب الماء، فقال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب: أما تذكر أننا كنا في سفر أنا وأنت فأما أنت فلم تصل، وأما أنا فتمعتك فصليت، فذكرت للنبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «كان يكفيك هكذا» فضرب النبي ﷺ بكفيه الأرض ونفخ فيها ثم مسح بهما وجهه وكفيه.

وأخرج البخاري أيضاً (٣٤٦)، وكذلك مسلم (ص ٢٨٠) من طريق شقيق بن سلمة قال: كنت عند عبدالله وأبي موسى فقال له أبو موسى: أرايت يا أبا عبدالرحمن إذا أجنب فلم يجد ماءً كيف يصنع؟ فقال عبدالله: لا يصلى حتى يجد الماء، فقال أبو موسى: فكيف تصنع بقول عمار حين قال له النبي ﷺ: «كان يكفيك» قال: ألم تر عمر لم يقنع بذلك؟ فقال أبو موسى: فدعنا من قول عمار، كيف تصنع بهذه الآية؟ فما درى عبدالله ما يقول، فقال: إنا لو رخصنا لهم في هذا لاوشك إذا برد على أحدهم الماء أن يدعه ويتيمم، فقلت لشقيق: فإنما كره عبدالله لهذا، قال: نعم.

(٢) في صحيح مسلم (ص ١٠٧٧) من طريق زينب بنت أم سلمة قالت: قالت =

• وأبو ذر رضي الله عنه يرى إخراج ما زاد على الحاجة من الذهب^(١).

= أم سلمة لعائشة: إنه يدخل عليك الغلام الأيفع^(*)، الذي ما أحب أن يدخل على، قال: فقالت عائشة: أما لك في رسول الله ﷺ أسوة؟ قالت: إن امرأة أبي حذيفة قالت: يا رسول الله إن سالماً يدخل على، وهو رجل وفي نفس أبي حذيفة منه شيء، فقال رسول الله ﷺ: «أرضعيه حتى يدخل عليك».

وأخرج مسلم (١٤٥٤) من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها كانت تقول: أبى سائر أزواج النبي ﷺ أن يدخلن عليهن أحداً بتلك الرضاعة، وقلن لعائشة: والله ما نرى هذا إلا رخصة أرخصها رسول الله ﷺ لسالم خاصة، فما هو بداخل علينا أحد بهذه الرضاعة ولا رائينا.

(١) أخرج البخاري (١٤٠٧) من طريق الأحنف بن قيس قال: جلست إلى ملأ من قريش فجاء رجل خشن الشعر والثياب والهيئة حتى قام عليهم فسلم، ثم قال: بشر الكانزين برضف يحمي عليه في نار جهنم ثم يوضع على حلمة ثدى أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه، حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل، ثم ولي فجلس إلى سارية، وتبعته وجلست إليه وأنا لا أدري من هو، فقلت له: لا أرى القوم إلا قد كرهوا الذي قلت، قال: إنهم لا يعقلون شيئاً، قال لي خليلي: - قال: قلت: من خليلك؟ قال: النبي ﷺ «يا أبا ذر أتبصر أحداً؟» قال: فنظرت إلى الشمس ما بقي من النهار، وأنا أرى أن رسول الله ﷺ يرسلني في حاجة له، قلت: نعم قال: «ما أحب أن لي مثل أحد ذهباً أنفقه كله إلا ثلاثة دنانير» وإن هؤلاء لا يعقلون إنما يجمعون الدنيا، لا أسألهم دنيا ولا أستفتيهم عن دين حتى ألقى الله.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - (فتح الباري ٢٧٣/٣): وكان أبو ذر يحمل الحديث على إطلاقه فلا يرى بادخار شيء أصلاً، قال ابن عبد البر: وردت عن أبي ذر آثار كثيرة تدل على أنه كان يذهب إلى أن كل مال مجموع يفضل عن القوت وسداد العيش فهو كثر يذم فاعله، وأن آية الوعيد نزلت في ذلك وخالفه جمهور الصحابة ومن بعدهم وحملوا الوعيد على ما نعى الزكاة.

(*) الذي قد قارب البلوغ.

وغير هؤلاء من الصحابة ومن التابعين ومن أتباع التابعين و...
و... ومن معاصرنا كذلك، وكل ذلك ليس بضارهم شيئاً بإذن الله.

فإذا كان هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قد صدرت منهم هذه الفتاوى التي يرى أكثر أهل العلم أنها مخالفة للصواب ومجانبة له، فمن باب أولى من جاء من بعدهم، فمن ثم لا ينبغي لأحد أن يقف مع عالم بعينه يقبل عنه كل ما يقول، ويدع غيره من أهل العلم، فإن هذه ليست سيرة سلفنا الصالح ألا ترى ابن عباس ينقل عن عمر وابن مسعود وعائشة وأبي بكر وأبي هريرة وعلى ﷺ و... وغيرهم، ألا ترى ابن المسيب - رحمه الله - ينقل عن أبي هريرة وعمر وابن عباس و... ﷺ، ألا ترى أحمد بن حنبل - رحمه الله - ينقل عن الشافعي وإسحاق والثوري و... رحمهم الله.

ولم يتقيد أحد من هؤلاء بعالم بعينه بل نوعوا مشاربهم ونهلوا من كل عذب - رحمهم الله وأكرم مثواهم - ولم ينقل عن شخص واحد منهم أنه دعى إلى عالم بعينه وهجران علم الآخرين فرحمة الله عليهم أجمعين.

فوسعوا آفاقكم ولا تضيقوا مداركم يا من تريدون الفقه في الدين، لا يعمد أحدكم إلى شيخ من المشايخ المتأخرين المعاصرين - حفظهم الله - ويتبنى نصرة رأيه بالحق والباطل ويتكلف لى النصوص وإزاحتها عن مواضعها حتى تتفق ورأى الشيخ!!

قولوا للمحق: إنك محق، ولن أخطأ: عفا الله عنك قد جانبت الصواب، وكللوا مقالاتكم بالأدب والوقار عسى ربكم أن يهديكم سواء السبيل.

وضع الاصطلاحات في مواضعها الصحيحة

فقد تأتي الكلمة الواحدة لها جملة معان ومدلولات، كل معنى من المعانى يليق بموطن من المواطن فإذا وضعت المعنى فى موطن غير موطنه جانبت الصواب، وحدثت عن الجادة، فمثلاً اصطلاحات الكفر والفسق والظلم والنفاق تأتي أحياناً ويراد بها الخروج من دين الإسلام، وتأتى أحياناً دون ذلك.

وكذلك مثلاً اصطلاح كلمة (كلمة أمة) تأتي بمعان متعددة منها :
 الملة ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢] أى ملة
 كما قال عدد من المفسرين.

وتطلق على الجماعة كما قال تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾.
 [القصص: ٢٣]

وتطلق على الفترة الزمنية ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾.

[يوسف: ٤٥]

وتطلق على الرجل الخفيف العاقل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾.

[النحل: ١٢٠]

وتطلق على مجموعة الناس الذين يعيشون فى زمن معين تجمعهم

ملاسات معينة، كقولنا مثلاً: «أمة محمد ﷺ»، إلى غير ذلك.

كذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (٣) ﴿[النساء: ٣] فتعولوا مثلاً تحمل معان منها: (على رأى بعض أهل العلم) من كثرة العيال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ (٨) ﴿[الضحى: ٨] فمعنى قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ أن لا تكثر عيالكم ، واستدل له بقول الشاعر:

ولا يدرى الفقير متى غناه

ولا يدرى الغنى متى يعول

وهذا المعنى اختاره الإمام الشافعى - رحمه الله - وخالفه جمهور العلماء فيه، ورده ابن القيم - رحمه الله - من وجوه متعددة ، واختار أن معنى قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ ألا تجوروا ، واستدل له بقول الشاعر:

بميزان قسط لا يخيس شعيرة

له شاهد من نفسه غير عائل

ومن أقوى الوجوه التى ردَّ بها كلام الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - إباحة ملكة اليمين، بأى عدد فى قوله تعالى: ﴿فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (٣) ﴿[النساء: ٣] فلو كان المراد الخوف من كثرة العيال ؛ لقيدت ملكة اليمين أيضاً بواحدة، ولكن لما كان المراد بقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ ألا تجوروا أبيع للرجل ما شاء من ملكة اليمين، إذ لا يجب عليه لهم القسمة ابتداء، فترجح قول الجمهور بهذا، والله تعالى أعلم.

ومن هذا الباب كلمة ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [المائدة: ٦] هل المراد الجماع أو المس الذى هو دون الجماع من مس باليد وقبله ونحو ذلك،

والأصح فيها أن اللمس الذى يوجب الغسل هو الجماع على ما فصلناه فى كتابنا : «جامع أحكام النساء» (قسم الطهارة وملحقاتها).

ومن هذا الباب أيضاً ما ورد فى التبتل ، فقد ورد الأمر بالتبتل فى كتاب الله فى قوله تعالى : ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ (٨) . [المزمل : ٨]

وورد النهى عن التبتل فى سنة رسول الله ﷺ ، فنهى النبي ﷺ عن التبتل^(١).

فقد يظن ظآن أن هناك تضارب وتعارض ، ويخفى عليه أن التبتل له معنى فى الآية ، والتبتل المنهى عنه فى الحديث له معنى آخر ، فأصل التبتل الانقطاع ، والمراد بالتبتل فى الآية : أى انقطع إليه وحده بعبادتك ولا تشرك به شيئاً ، أو انقطع إليه وتفرغ لعبادته فى بعض أوقاتك ، أما التبتل المنهى عنه فى الحديث فهو الانقطاع عن الناس والجماعات والطيبات من الرزق ، وسلوك سبيل الترهّب فى الصوامع ، وترك النكاح ، ونحو ذلك .

□ وكذلك اصطلاح «السيئة» □

فإنه يأتى على معان ، فيأتى بمعنى الكفر والشرك ، كما فى قوله تعالى : ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٨١) . [البقرة : ٨١]

(١) أخرج الإمام البخارى (٥٠٧٣) ، ومسلم (١٤٠٢) من حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ، ولو أذن له لاختصينا .

فالسيدة في قول أكثر أهل العلم هنا المراد بها الشرك^(١).

ومن هذا أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾.

[النمل: ٩٠]

وتأتى السيدة أحياناً بمعنى الكبيرة كما قال تعالى في شأن قوم لوط:

(١) وقد أخرج الطبري (١٤٢١) بإسناد حسن عن أبي وائل أنه قال في تفسير السيدة في هذا الموطن أنها الشرك.

وكذلك روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة أنها الشرك أيضاً (أثر ١٤٢٤)، وعن غيرهم كذلك: إنها الشرك.

قال الطبري - رحمه الله تعالى - (٢/٢٨٢): وإنما قلنا إن (السيدة) التي ذكر الله جل ثناؤه أن من كسبها وأحاطت به خطيئته، فهو من أهل النار المخلدين فيها في هذا الموضع، إنما عني بها بعض السيئات دون بعض، وإن كان ظاهرها في التلاوة عامًّا؛ لأن الله قضى على أهلها بالخلود في النار، والخلود في النار لأهل الكفر بالله، دون أهل الإيمان به، لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ بأن أهل الإيمان لا يخلدون فيها، وأن الخلود في النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان، فإن الله جل ثناؤه قد قرن بقوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١] قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢]، فكان معلومًا بذلك أن الذين لهم الخلود في النار من أهل السيئات غير الذين لهم الخلود في الجنة من أهل الإيمان.

وقال القاسمي في «محاسن التأويل» (٢/١٧٧): تنبيه: ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الخلود في النار إنما هو للكفار المشركين، لما ثبت في السنة تواترًا من خروج عصاة الموحدين من النار، فيتعين تفسير السيدة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك، ويؤيد ذلك كونها نازلة في اليهود، والله أعلم.

﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ . [هود: ٧٨]

وتأتى أحياناً بمعنى الصغيرة ، كما فى قوله تعالى : ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا
كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] .

والله تعالى أعلم

فهم المسائل على وجهها الصحيح

فقد تتداخل على الشخص مسائل فيظن أنها في باب غير بابها فيصف أهل العلم بالقصور ، وهو في الوقت نفسه صاحب الحظ الأوفر والنصيب الأكبر من الجهل والقصور في الفهم .

فمثلاً : قد تتداخل على الشخص مسائل الإصلاح والقضاء ، فيظن الإصلاح قضاءً والقضاء إصلاحاً ، وقد تتداخل عليه مسائل الرياء والشجاعة ، وإغاظة العدو الكافر فيخلط بينهما ، وقد تتداخل عليه الغيبة مع لوازم بيان الأحوال ، فيقع في الإنكار على الناس ، حيث لا حاجة إلى نكيره ... و... .

فمن الأول مثلاً: ما ورد من حديث كعب بن مالك^(١) رضي الله عنه أنه تقاضى ابن أبي حدرد ديناً كان له عليه في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله ﷺ ، وهو في بيته ، فخرج إليهما حتى كشف سجد حجرتهم فنادى : «يا كعب» ! قال : ليك يا رسول الله ! قال : «ضع من دينك هذا» - وأوماً إليه أى الشطر - قال : لقد فعلت يا رسول الله ، قال : «قم فاقضه» .

فهنا حثَّ النبي ﷺ كعب بن مالك على وضع النصف من ماله الذى له عند ابن أبي حدرد ، وهذا نوع من أنواع الإصلاح ، أما القضاء فيستلزم أن يستوفى كعب حقه كاملاً .

(١) أخرجه البخارى في عدة مواطن من صحيحه .

وفي الصحيح^(١) أيضاً من حديث عبدالله بن الزبير رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ﷺ في شراج^(٢) الحرة التي يسقون بها النخل ، فقال الأنصاري سرح^(٣) الماء يمر ، فأبى عليه فاختلفا عند النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ للزبير : « اسق يا زبير ، ثم أرسل الماء إلى جارك » فغضب الأنصاري فقال : أن كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله ﷺ ، ثم قال : « اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر »^(٤) فقال الزبير : والله إنى لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ . [النساء: ٦٥]

فهنا أشار عليهما النبي ﷺ بأمرٍ لهما فيه سعة ، على سبيل الإصلاح بينهما ، فلما أبى الأنصاري ذلك استوفى النبي ﷺ للزبير حقه كاملاً ، فأمره أن يسقى حتى تمتلئ أرضه بالماء (حتى يرجع الماء إلى الجدر) ثم يرسله إلى الأنصاري .

وقد بَوَّبَ البخاري لهذا الحديث بباب : إذا أشار الإمام بالصلح ، فأبى حكم عليه بالحكم البين .

وكنحو ذلك الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا

(١) البخاري (حديث ٢٧١٠) ، ومسلم (حديث ١٥٥٨) .

(٢) شراج : هو مسيل الماء ، أما الحرة : فهي موضع بمدينة رسول الله ﷺ .

(٣) سرح الماء : أى أطلق الماء ، قال الحافظ في الفتح : وإنما قال له ذلك ؛ لأن الماء كان يمر بأرض الزبير قبل أرض الأنصاري ، فيحبسه لإكمال سقى أرضه ، ثم يرسله إلى أرض جاره ، فالتمس منه الأنصاري تعجيل ذلك فامتنع .

(٤) في رواية للبخاري (حديث ٤٥٨٥) ، وانظر : أيضاً (حديث ٢٧٠٨) «واستوعى له حقه» .

نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ. [النساء: ١٢٨]

جاء في البخارى من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت فى هذه الآية: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها، يريد أن يفارقها فتقول: أجعلك من شأنى فى حل، فنزلت هذه الآية فى ذلك ^(١).

ومن الباب الثانى: قدوم رسول الله ﷺ وإصحابه إلى مكة، وقول المشركين: إنه يقدم عليكم وقد وهتهم حمى يثرب، فأمر النبى ﷺ أصحابه بالرمل ^(٢).

وكذلك الناظر إلى أصحاب رسول الله ﷺ، ينظر فيراهم فعلوا فعلاً لم يكونوا يفعلونه باطراد (ألا وهو ذلك جلودهم بنخامة رسول الله ﷺ)، فعلوه يوم الحديبية، وقذف الله به الرعب فى قلوب أعداء الله آنذاك فى الصحيح ^(٣)، أن عروة بن مسعود الثقفى جعل يرمى أصحاب النبى ﷺ بعينه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت

(١) أخرجه البخارى (٤٦٠١).

(٢) أخرجه البخارى (١٦٠٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وقد وهتهم حمى يثرب، فأمرهم النبى ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة وأن يمشوا بين الركبتين، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم.

وفى البخارى أيضاً (١٦٠٥) من حديث عمر رضي الله عنه قال: ما لنا وللرمل، إنما كنا راءينا به المشركين، وقد أهلكهم الله، ثم قال: شئ صنعته النبى ﷺ فلا نحب أن نتركه.

(٣) أخرجه البخارى (٢٧٣١ - ٢٧٣٢).

فى كف رجل منهم ، فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفصوا أصواتهم عنده ، وما يحدون النظر إليه ؛ تعظيماً له ، فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أى قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على كسرى ، وقيصر ، والنجاشى ، والله إن رأيت مليكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ ، والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم ، فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفصوا أصواتهم عنده ، وما يحدون النظر ؛ تعظيماً له ، وإنه قد عرض عليكم خطة رشيدة ، فاقبلوها ، فقال رجل من بنى كنانة : دعونى آتية ، فقالوا : آتته ، فلما أشرف على النبى ﷺ وأصحابه ، قال رسول الله ﷺ : هذا فلان ، وهو من قوم يعظمون البدن ، فابعثوها له ^(١) ، فبعثت له ، واستقبله الناس يلبون ، فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت ، فلما رجع إلى أصحابه ، قال : رأيت البدن ، قد قلدت ، وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت .

ومن الباب الثالث : قد يظن شخص أن ذكر شخص بما فيه للقضاء مثلاً ، أو لتحذير الناس منه ، أو للتعريف به أو . . من باب الاغتيال المذموم ، فيصف من فعله بأنه مغتاب للناس ، واقع فى أعراضهم ، وينسى نفسه ، وأنه قاصر الفهم ضعيف الإدراك ، فقد ثبت فى الصحيحين أن هنداً جاءت إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح ، لا يعطينى ما يكفينى وولدى ، فقال النبى ﷺ : « خذى ما

(١) ولا يظن جاهل أن هذا من باب الرياء !!!

يكفيك وولدك بالمعروف» فوصفت هند أبا سفيان هنا بالشح ، ولم ينكر عليها النبي ﷺ وصفها له بذلك .

وكذلك قال النبي ﷺ لما استشير في معاوية وأبى جهم قال : «أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه»^(١) .

وكذلك قال النبي ﷺ لعائشة في الرجل الشرير القادم عليها : «بئس أخو العشيرة»^(٢) .

وكذلك قال تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢)﴾ .

[عبس : ١ - ٢]

وقال النبي ﷺ لأصحابه : «أصدق ذو اليمين؟»^(٣) ، وكان في يد الرجل طول .

ومن هذا الباب أيضاً :

قد يفهم شخص أن امتناع النبي ﷺ عن شيء أو منعه أهل بيته من شيء أن هذا الشيء حرام ، ولا يكون كذلك ، فقد ورد أن النبي ﷺ

(١) أخرجه مسلم (٣/٦٩١) ، وأبو داود (٢٢٨٤) ، والنسائي (٢٠٨/٦) .

(٢) أخرج البخاري (٣١٣٢) ، ومسلم (٢٥٩١) من حديث عائشة رضي الله عنها أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ ، فلما رآه قال : «بئس أخو العشيرة ، وبئس ابن العشيرة» ، فلما جلس تطلّع له النبي ﷺ في وجهه ، وانبسط إليه ، فلما انطلق الرجل قالت عائشة : يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ، ثم تطلّقت في وجهه وانبسطت إليه ، فقال رسول الله ﷺ : «يا عائشة متى عهدتني فاحشاً؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره» ، وفي رواية : «اتقاء فحشه» .

(٣) أخرجه البخاري (١٢٢٨) ، ومسلم (٥٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ذهب إلى بيت فاطمة ووجد سترًا موشيًا (أى مخططًا) فرجع النبي ﷺ، فلما جاء على أخبرته فاطمة بالذى كان من رسول الله ﷺ، فذهب على إلى رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ: «مالى والدنيا» فذهب على إلى فاطمة يخبرها فقالت: ليأمرنى فيه بما شاء، فقال النبي ﷺ: «أرسلنى به إلى آل بيت فلان قوم لهم فيه حاجة»^(١).

فلو كان حرامًا ما أمرها النبي ﷺ أن ترسل به إلى أهل هذا البيت. وكذلك لما جاءت فاطمة تطلب من رسول الله ﷺ خادمًا من السبى فقال النبي ﷺ: «هل أدلك على ما هو خير لك من خادم، تسبحين ثلاثًا وثلاثين، وتحمدين ثلاثًا وثلاثين، وتكبرين أربعًا وثلاثين، فذلك خير لك من خادم»^(١).

فقد يفهم شخص فهمه قاصرًا أن هذا تحريم للخدم، ولفظ الحديث ابتداءً لا يساعده، ثم إنه كان فى بيوت رسول الله ﷺ خدم، وليس خادم واحد، كأنس بن مالك، وكما ورد فى قصة الصحيفة التى كسرتها أم المؤمنين من يد الخادم و...و..

(١) أخرج البخارى (٢٦١٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتى النبى ﷺ بيت فاطمة، فلم يدخل عليها، وجاء على، فذكرت له ذلك، فذكره للنبي ﷺ قال: «إنى رأيت على بابها سترًا موشيًا» فقال: «مالى والدنيا» فأتاها على فذكر ذلك لها فقالت: ليأمرنى فيه بما شاء، قال: «ترسلنى به إلى فلان أهل بيت فيهم حاجة».

(٢) أخرجه البخارى (مع الفتح ١٢٥/٦)، ومسلم (٤٥/١٧) مع النووى.

الموقف من النصوص العامة

أحياناً - عند التعرض لدراسة باب من الأبواب الفقهية - يتعذر علينا استحضار نص خاص في المسألة، أو في الباب فتتجه للاستدلال بآية عامة في الباب، وقد ورد نحو هذا عن رسول الله ﷺ وأصحابه في جملة مواطن.

ففي الصحيح ^(١) من حديث أبي سعيد بن المولى رضي الله عنه قال: كنت أصلي فمرّ بي رسول الله ﷺ فدعاني فلم آته حتى صليت، ثم أتيت، فقال: «ما منعك أن تأتي؟» فقلت: كنت أصلي، قال: ألم يقل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

وفي الصحيح أيضاً أن النبي ﷺ سئل عن الحمر فقال: لم ينزل على فيها شيء، إلا هذه الآية الجامعة الفاذة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾ ^(٢). [الزلة: ٧ - ٨]

وفي الصحيح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب، فجاءت فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ،

(١) أخرجه البخاري في جملة مواطن من صحيحه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن هو في كتاب الله، فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول، قال: لئن كنت قرأته لقد وجدته، أما قرأت: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] فإنه قد نهى عنه^(١).

لكن أحياناً ينبغي أن يعين النظر في العمومات، هل هي قيّدت؟ أو هل الاستدلال بها في محله؟ فمثلاً: قد يعتمد شخص إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٩٥] ويستدل به على ختام تلاوة القرآن بصدق الله العظيم، فهذه الآية تصديق لإخبار متقدم، ألا وهو قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالٌ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٩٣) فمن افتَرى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٤) قُلْ صَدَقَ اللَّهُ... ﴿

[آل عمران: ٩٣ - ٩٥]

ثم إننا لم نقف على خبر واحد فيه أن النبي ﷺ ختم التلاوة بقوله: صدق الله العظيم، وإن كان هو أصدق القائلين، لا يشك في ذلك إلا كل ملحد، لكن ختام القراءة بصدق الله العظيم لم نقف فيه على نص كما أخبرنا^(٢).

(١) انظر البخارى (مع الفتح ١٠ / ٣٧٧)، ومسلم (٨٣٦/٤).

(٢) وقد ورد عند ابن أبى شيبة (المصنف ١٢٢٣٧) بإسناد حسن عن بريدة قال: «كان رسول الله ﷺ يخطبنا فأقبل حسن وحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان، ويعشران ويقومان، فنزل رسول الله ﷺ فأخذهما فوضعهما بين يديه ثم قال: «صدق الله ورسوله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ رأيت هذين فلم أصبر»، ثم أخذ في خطبته.

وهذا أيضاً لا يستفاد منه مشروعية ختم القراءة بـ (صدق الله العظيم)، ومع =

كذلك قوله تعالى في المطلقة مرتين ، قال تعالى : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۖ ﴾ . [البقرة : ٢٣٠]

بينت السنة أن المراد الجماع ، وليس مجرد العقد .
وقد يعمد جاهل أيضاً إلى قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ ۖ ﴾ .

[الأنعام : ٩١]

فيقول كما يقول جهلة الصوفية : الله الله الله الله الله .. ،
وينسى الجاهل أن قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ ۖ ﴾ إجابة على سؤال متقدم ، ألا
وهو قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى
لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأَاطِسَ يُبَدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ
وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ۖ ﴾ . [الأنعام : ٩١]

ولم نقف على نص فيه أن رسول الله ﷺ ذكر الله باللفظ المفرد الله
الله الله .. اللهم إلا على سبيل استفهام أو تعجب .

وهناك قوم قد تقدموا ، ما نرى أن عندهم مسحة من عقل ،
يستدلون على كفرهم وبدعهم بآيات من الكتاب ، كالكسفية مثلاً ، أتباع
ذلكم الضال الملقب بالكسف ، يستدلون لباطلهم بقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ
يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ۖ ﴾ [الطور : ٤٤]
على أن الكسف هو نبيهم وربهم .

وكذلك البيانية أتباع بيان بن سميعان يستدلون بقوله تعالى : ﴿ هَذَا

= هذا الذي ذكرناه فلا نستطيع أن نبذع من قال : صدق الله العظيم عقب القراءة
لاندراجها تحت أصلي بل أصول والله أعلم .

بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهَدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴿آل عمران: ١٣٨﴾ على نبوة وإلهية نبيهم بيان الضال.

وما كنا بودنا أن نلوث كتابنا بمثل هذا الشخصيات التافهة، ولكن نبينا ﷺ أخبرنا عن عددٍ من دجالين ومنحرفين، بل وقد ذُكر أبو لهب الكافر في الكتاب العزيز، وفرعون المجرم الأثيم، في صفحات المصحف، فينبغي أن نمنع النظر في العمومات، وهل الاستدلال بها في موطنه أم لا؟

السنة الفعلية لرسول الله ﷺ تفسر السنة القولية

وهذا يرفع لنا كثيراً من الإشكالات ، ويريح لنا البال ، ويطمئن لنا
النفوس ، فإذا أتى آت مثلاً يستدل علينا بحديث رسول الله ﷺ : « لا يقعد
قومٌ يذكرون الله عزَّ وجلَّ إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ، ونزلت
عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده »^(١) على جواز الاجتماع لأذكار
المساء بصوت جماعي ، فتحاكم نحن وهؤلاء إلى خير الهدى هدى
محمد ﷺ ، هل ورد فيها ذلك أم لا؟ ومن الواضح أنه لم يرد ذلك عن
رسول الله ﷺ ، ولا عن أحد من أصحابه رضوان الله عليهم ، فكوننا
ننظر إلى هدى رسول الله ﷺ في الباب ، وفعله عليه السلام ، وفعل
أصحابه رضوان الله عليهم ، أولى من أن نفلسف النص العام فلسفة
ونوجهه توجيهاً يخرج بنا عما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه .

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧ / ٢٢) من حديث أبي هريرة ، وأبي سعيد
مرفوعاً .

الأحكام التي تعم بها البلوى لأبد وأن يبينها الرسول ﷺ

وحاصل ذلك أنه إذا كانت هناك أمور هامة في الدين تهم عموم أمة محمد ﷺ، فلا بد أن يبينها الرسول ﷺ، فإذا لم يرد فيها نص بُنى فيها على البراءة الأصلية، وقد ذكر نحو ذلك ابن تيمية - رحمه الله - ورتب عليه الحكم في جملة من المسائل فقال في مجموع الفتاوى (٢٣٦/٢٥):

إن الأحكام التي تحتاج الأمة إلى معرفتها لأبد أن يبينها الرسول ﷺ، بيانًا عامًا، ولابد أن تنقلها الأمة، فإذا انتفى هذا عُلِمَ أن هذا ليس من دينه، وهذا كما يعلم أنه لم يفرض صيام شهر غير رمضان، ولا حج بيت غير البيت الحرام، ولا صلاة مكتوبة غير الخمس، ولم يوجب الغسل في مباشرة المرأة بلا إنزال^(١)، ولا أوجب الوضوء من الفرع العظيم، وإن كان في مظنة خروج الخارج، ولا سن الركعتين بعد الطواف بين الصفا والمروة، كما سن الركعتين بعد الطواف بالبيت، وبهذا يعلم أن المنى ليس بنجس؛ لأنه لم ينقل عن أحد بإسناد يحتج به أنه أمر المسلمين بغسل أبدانهم وثيابهم من المنى، مع عموم البلوى بذلك، بل أمر الحائض أن تغسل قميصها من دم الحيض، مع قلة الحاجة إلى ذلك، ولم يأمر المسلمين بغسل أبدانهم وثيابهم من المنى... ثم قال:

وكذلك بهذه الطريقة يعلم أن بول ما يؤكل لحمه وروثه ليس

(١) المراد بالمباشرة هنا: ما دون الجماع.

بنجس، فإن هذا مما تعم به البلوى، والقوم كانوا أصحاب إبل وغنم يقعدون ويصلون في أمكتتها، وهى مملوءة من أبقارها، فلو كانت بمنزلة المراحيض كانت تكون حشوشًا، وكان النبي ﷺ يأمرهم باجتنابها، وأن لا يلوثوا أبدانهم وثيابهم بها، ولا يصلون فيها.

و.. وقال رحمه الله:

وإذا كانت الأحكام التى تعم بها البلوى لابد أن يبينها الرسول ﷺ بيانًا عامًا ولا بد أن تنقل الأمة ذلك فمعلوم أن الكحل ونحوه مما تعم به البلوى كما تعم بالدهن والاعتسال والبخور والطيب، فلو كان هذا مما يفطر لبينه النبي ﷺ كما بين الإفطار بغيره، فلما لم يبين ذلك علم أنه من جنس الطيب والبخور والدهن، والبخور قد يتصاعد إلى الأنف ويدخل فى الدماغ وينعقد أجسامًا، والدهن يشربه البدن، ويدخل إلى داخله، ويتقوى به الإنسان، وكذلك يتقوى بالطيب قوة جيدة، فلما لم ينه الصائم عن ذلك، دل على جواز تطيبه وتبخيره وإدهانه، وكذلك اكتحاله.

وكان قد قال قبل ذلك - رحمه الله - : وكذلك الناس لا يزال أحدهم يلمس امرأته بشهوة وبغير شهوة، ولم ينقل عنه مسلم أنه أمر الناس بالتوضؤ من ذلك، والقرآن لا يدل على ذلك، بل المراد بالملامسة الجماع، كما بسط فى موضعه.

شئ في التوسط والاقتصاد

فالسمت الحسن والاقتصاد جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة، وينبغي أن يكون الشخص معتدلاً في أموره كلها.

□ ففي باب الصلاة □

فيقول النبي ﷺ : «.. ليُصلَّ أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليقعد»^(١) ، وذلك لما دخل النبي ﷺ المسجد ، فإذا حبلٌ ممدودٌ بين ساريتين ، فقال : «ما هذا الحبل؟» قالوا : هذا حبل لزينب ، فإذا فترت تعلقت ، فقال النبي ﷺ : «لا ، حلُّوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليقعد» ، وكذلك قال رسول الله ﷺ : «عليكم من الأعمال ما تطيقون ، فوالله إن الله لا يمل حتى تملاوا»^(٢).

ولما قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ : «أما أنا فأقوم ولا أنام» قال النبي ﷺ : «أما إن أخشاكم وأتقاكم لله أنا ، ولكني ... وأقوم وأنام»^(٣).

وقال ﷺ : «وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه»^(٤).

(١) البخارى (١١٥٠) ، ومسلم (٧٨٤) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً .

(٢) أخرجه البخارى (٤٣ - ١١٥١) ، ومسلم (٧٨٥) .

(٣) البخارى (٥٠٦٣) ، ومسلم (١٤٠١) .

(٤) البخارى (حديث ١١٣١) ، ومسلم (ص ٨١٦) .

وفى صحيح مسلم^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال :
«إذا نعس أحدكم فى الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم
إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه» .

وعنده^(٢) أيضاً من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ
: «إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول
فليضطجع» .

□ وفى باب الصيام □

كذلك يقول النبى ﷺ : «فصم وأفطر»^(٣) ، وقال ﷺ : «صم يوماً
وأفطر يوماً ، فإن ذلك أحب الصيام إلى الله عز وجل»^(٤) .
وهذا أيضاً من الاقتصاد فى :

□ تلاوة القرآن □

أخرج البخارى ومسلم^(٥) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنه قال : كنت أصوم الدهر ، وأقرأ القرآن كل ليلة ، قال : فإذا ذكرت
للنبى ﷺ ، وإما أرسل إلى فأتيته ، فقال لى : «ألم أخبرك أنك تصوم
الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة؟» فقلت : بلى ، يا نبى الله ! ، ولم أرد بذلك
إلا الخير ، قال : «فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام» قلت : يا
نبى الله ! إنى أطيق أفضل من ذلك ، قال : «فإن لزوجك عليك حقاً ،

(١) مسلم (حديث ٧٨٦) .

(٢) مسلم (حديث ٧٨٧) .

(٣ ، ٤) البخارى حديث (١٩٧٧) ، ومسلم (١١٥٩) .

(٥) انظر : البخارى (حديث ١٩٧٧) ، ومسلم (ص ٨١٣) .

ولزورك عليك حقًا ، ولجسدك عليك حقًا» قال : «فصم صوم داود نبي الله ﷺ فإنه كان أعبد الناس» ، قال : قلت : يا نبي الله ! وما صوم داود؟ قال : «كان يصوم يومًا ويفطر يومًا» قال : «واقرا القرآن في كل شهر» قال : قلت : يا نبي الله ! إنى أطيق أفضل من ذلك ، قال : «فاقرأه في كل عشرين» قال : قلت : يا نبي الله ! إنى أطيق أفضل من ذلك ، قال : «فاقرأه في كل عشر» قال : قلت : يا نبي الله ! إنى أطيق أفضل من ذلك ، قال : «فاقرأه في كل سبع ، ولا تزدد على ذلك ، فإن لوزجك عليك خفا ولزورك عليك حقًا ، ولجسدك عليك حقًا»

قال : فَشَدَّدْتُ ، فَشَدَّدَ عَلَيَّ .

قال : وقال لى النبي ﷺ : «إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر» .

وبصفة عامة ، فإن النبي ﷺ قال : «فإن لزوجك عليك حقًا ولزورك^(١) عليك حقًا ولجسدك عليك حقًا» .

وفى رواية : «فإن لعينيك حظًا ، وإن لنفسك وأهلك عليك حظًا» .

وهو وذاك فى الروايات المتقدمة .

وأخرج البخارى^(٢) من حديث أبى جحيفة رضى الله عنه قال :

أخى النبي ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها : ما شأنك؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا ، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا فقال له : كُلْ ،

(١) زورك : بمعنى أضيافك .

(٢) البخارى (حديث ١٩٦٨) .

قال : فلمنى صائم، قال: ما أنا بأكل حتى تأكل، قال: فأكل، ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا ، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذى حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال له النبي ﷺ : «صدق سلمان».

وانظر إلى هذا الاعتدال والتوسط فى :

□ الانفاق □

وانظر إلى جميل حكمة هذا الشرع الحنيف فى قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۖ﴾ (٢٩).

[الإسراء: ٢٩]

والى قوله تعالى: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ (٢٦) إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧).

[الإسراء: ٢٦ - ٢٧]

وكذلك فانظر إلى قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١).

[الأعراف: ٣١]

فحقًا إنه منهج قويم، اعتدال وتوسط ، لا إسراف ولا بخل، فكلاهما صنيع مذموم، فالمبذرون إخوان للشياطين، والمُسرفون لا يحبهم الله عز وجل.

وكذلك البخلاء ، فأى داءٍ أدوى من البخل ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون .

هذا . . وثمَّ نصوص أخر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ينبغي أن يفقهها الشخص ، ويؤلف بينها ، من ذلك :

قول النبي ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين .. ورجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق .. »^(١) .

وقوله ﷺ لكعب بن مالك : « أمسك عليك بعض مالك »^(٢) .

وقد جاء أبو بكر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ بماله كله فقال له النبي ﷺ : « ما أبقيت لأهلك يا أبا بكر ؟ » قال : أبقيت لهم الله ورسوله^(٣) .

(١) أخرجه البخارى (حديث ٧٣) ، ومسلم (حديث ٨١٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضى بها ويعلمها » .

(٢) أخرجه البخارى (٤٤١٨) ، ومسلم (حديث ٢٧٦٩) ، وأحمد (٣٨٧/٦) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة توبة الله عز وجل عليه ، وفيه أنه قال : قلت : يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله ﷺ : « أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك » .

(٣) أخرج أبو داود (حديث ١٦٦٢) ، والترمذى (٣٦٧٥) ، وقال : حديث حسن صحيح . والدارمى (٣٩١/١ - ٣٩٢) ، وغيرهم بإسناد حسن من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ يوماً أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندي فقلت : اليوم أسبق أبا بكر ، إن سبقته يوماً ، فجئت بنصف مالى ، فقال رسول الله ﷺ : « ما أبقيت لأهلك ؟ » فقلت : مثله . قال : وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال له رسول الله ﷺ : « ما أبقيت لأهلك » قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، قلت : لا أسابقك إلى شئ أبداً .

وقال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس»^(١).

فهذه وغيرها نصوص يتحرك المؤمن في ضوئها فيعلم متى يُنفق ، ومتى يمسك ، وأين ينفق ، وأين يمسك ، ومتى ينفق كل ماله ، ومتى يمسك بعض ماله ، وليعلم أن الاقتصاد غير البخل ، وأن الجود غير التبذير .

وأن المنع في محل الإعطاء مذموم ، والإعطاء في محل المنع مذموم كذلك ، ويعلم متى يطبق حديث رسول الله ﷺ : «ابدأ بمن تعول»^(٢) ، ومتى يطبق قول الله تبارك وتعالى : «وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» [الحشر: ٩] ومتى ينزل حديث الصحابي الجليل وزوجته الصحابية الكريمة اللذين عجب الله عز وجل من صنيعهما مع الأضياف ، لما نوما صبيانهما وأطفأ مصباحهما ، وأوهما الضيف أنهما يأكلان^(٣) !!

(١) صحيح وسيأتي تخريجه في آية الوصية إن شاء الله تعالى .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٥٣٥٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً ، وله عدة طرق عن رسول الله ﷺ . انظر : (صحيح مسلم ص ٧١٧ - ٧١٨) ، ترتيب محمد فزاد .

(٣) أخرج البخاري (حديث ٣٧٩٨) ، ومسلم (حديث ٢٠٥٤) ، والترمذي (٣٣٠٤) ، وقال : حديث حسن صحيح ، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (واللفظ للبخاري) أن رجلاً أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه فقلن : ما معنا إلا الماء؟ فقال رسول الله ﷺ : «من يضم - أو يضيف هذا - فقال رجل من الأنصار : أنا ، فانطلق به إلى امرأته ، فقال : أكرمي ضيف رسول الله ﷺ ، فقالت : ما عندنا إلا قوت صياني فقال : هيئ طعامك وأصحبى سراجك ، ونوِّمى صبيانك ، إذا أرادوا عشاءً فهيئت طعامها وأصبحت سراجها ، ونوِّمت صبيانها ، ثم قامت كأنها تصلح =

ويعلم كذلك أين ينفق ، هل ينفق فيما يحبه الله ويرضاه ، وبتغنى بذلك وجه الله ، فيكون من الذين قال الله فيهم : ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ﴾ (٣٩) ﴿[الروم: ٣٩] أما أنه ينفق أموالاً ثم تكون عليه حسرة .

ويعلم كذلك لمن ينفق أولاً ، وهل الأقربين أولى بالإنفاق عليهم إذا كانوا أهل حاجة ، كما قال تعالى : ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ (١٥) ﴿[البلد: ١٥] ، وكما قال تعالى : ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ٢١٥] أو أن المسكين ذا المتربة أولى لقوله تعالى : ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ (١٦) ﴿[البلد: ١٦] أو أن . (فى كل كبد رطبة أجر) ..

إلى غير ذلك من الضوابط التي تضبط بها مسائل الانفاق ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (٢٦٩) ﴿[البقرة: ٢٦٩] ، ومن يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ، والله تعالى أعلم .

وفى أبواب :

□ المدح والثناء على الأشخاص □

بحث النبى ﷺ على الاقتصاد فى هذا ، ففى الصحيحين^(١) من

= سراجها فأطفأته ، فجعلنا يريانه أنهما يأكلان ، فباتا طاوين ، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال : «ضحك الله الليلة - أو عجب - من فعالكما» فأنزل الله ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٩) ﴿[الحشر: ٩] .

(١) البخارى (حديث ٢٦٦٢) ، ومسلم (حديث ٣٠٠٠) .

حديث أبي بكر رضي الله عنه قال:

مدح رجل رجلا عند النبي ﷺ ، قال: فقال: «ويحك! قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك» مراراً، «إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة، فليقل: أحسب فلانا، والله حسبي، ولا أزكى على الله أحداً. أحسبه إن كان يعلم ذاك، كذا وكذا».

وفي رواية لمسلم من حديث أبي بكر أيضاً عن النبي ﷺ:

أنه ذكر عنده رجل ، فقال رجل: يا رسول الله! ما من رجل ، بعد رسول الله ﷺ أفضل منه في كذا وكذا، فقال النبي ﷺ: «ويحك! قطعت عنق صاحبك» مراراً يقول ذلك، ثم قال رسول الله ﷺ: «إن كان أحدكم مادحاً أخاه لا محالة، فليقل: أحسب فلاناً، إن كان يرى أنه كذلك، ولا أزكى على الله أحداً».

بل ورسولنا ﷺ يقول في شأن نفسه: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبدالله ورسوله»^(١).

وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح^(٢) عن مطرف قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السيد الله تبارك وتعالى» قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فقال: «قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان».

(١) البخارى (حديث ٣٤٤٥)، أما الإطاراء مجاوزة الحد في المدح، وقيل: هو المدح بالباطل، وإطراء النصارى لعيسى في ادعائهم ألوهيته، وأنه ابن الله، إلى غير ذلك من أنواع الغلو فيه.

(٢) أخرجه أبو داود (حديث ٤٨٠٦).

وقد ورد في حديث في إسناده كلام^(١) «أحب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغضك يوماً ما، وأبغض بغضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما».

فهذا شيءٌ من الوارد في الاقتصاد، فحقاً إن ديننا كله محاسن، فله الحمد والشكر، على هذا الدين القيم.

(١) أخرجه الترمذى (١٩٩٧) ، وقال : هذا حديث غريب .

قلت: وفي إسناده هذا الحديث عندي ضعف، وقد صححه الشيخ الفاضل ناصر الألباني - رحمه الله رحمة واسعة - .

باب في الكفارات

كما هو معلوم ، فإن الذنوب تختلف في قدرها ، ومن ثم تختلف الكفارات اللازمة لهذه الذنوب ، فالذنوب الصغير يحتاج إلى شيء من الاستغفار ، وإذا ازداد حجم الذنب شيئاً ما فيحتاج مع الاستغفار إلى عمل صالح آخر ، كي يكفر هذا الذنب ، فليست كلمة أستغفر الله كافية في كل الأحوال لمحو أثر الذنب ، وقد نزل على النبي ﷺ قول الله تبارك وتعالى - في الرجل الذي أصاب من امرأة قبله - : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (١١٤) ﴿^(١) . [هود: ١١٤]

وأحياناً لا تكفى صلاة ركعتين لإزالة أثر هذا الذنب ، فتأتى صلوات الفرائض والجمع تكفر هذا الذنب ، فقد قال ﷺ : «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»^(٢) .

وفي رواية لمسلم : «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر

(١) البخارى (حديث ٤٦٨٧)، ومسلم (مع النووى ٧٩/١٧).

(٢) البخارى (حديث ٥٢٨)، ومسلم (حديث ٦٦٧) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات»^(١).

وأحياناً يكون الذنب أكبر من ذلك، فيكفر بصيام رمضان، أو بالعمرة، كما قال ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهم إذا اجتنب الكبائر»^(٢).

وكما قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما»^(٣).

وأحياناً يزداد الذنب عن هذا القدر فيحتاج إلى الحج؛ كي يهدمه ويزيل أثره، كما قال ﷺ: «الحج يهدم ما كان قبله»^(٤).

وكما قال ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد»^(٥).

ومن ثم اختلفت مقادير الكفارات في كتاب الله عز وجل.

فكفارة اليمين كما ذكرها الله سبحانه: ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾. [المائدة: ٨٩]

وكفارة قتل الصيد أثناء الإحرام كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بِالِغِ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ

(١) أخرجه مسلم (حديث ٦٦٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) مسلم (حديث ٢٣٣).

(٣) أخرجه مسلم (حديث ١٣٤٩).

(٤) أخرجه مسلم (حديث ١٢١).

(٥) أخرجه النسائي (١١٥/٥)، بإسناد صحيح لشواهده.

عَدَلَ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٩٥) ﴿٩٦﴾

وكفارة المظاهر من امرأته كما ذكرها الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾

وكذلك فهناك كفارات للمُجَامِعِ في نهار رمضان ، ولمن قال لامرأته أنت على حرام ، إلى غير ذلك من الكفارات التي تنوعت على حسب قدر الذنب .

وجاءت الحدود بتنوعها ككفارات للذنوب على قدر هذه الذنوب ، فحد الزانى الذى لم يحصن أن يجلد مائة جلدة ، ويغرب عام ، وحد الذى قد أحصن هو الرجم .

وحد شارب الخمر أن يجلد نحواً من أربعين .

وهذا كله يستفاد منه شىء ألا وهو أن الشخص قد يُذنب ذنباً ، وليست هناك فى كتاب الله عز وجل ، ولا فى سنة رسول الله ﷺ كفارة محددة معينة لهذا الذنب ، إذ الذنوب تختلف وتنوع تنوعاً كبيراً جداً ، فليس من المناسب أن يكون لكل ذنب كفارته المنصوص عليها بالنص ، لكن هناك قواعد كلية لهذه المسألة ، بها تضبط ، وذلك كقول الله تبارك

وتعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ﴾ (١١٤)
 [هود: ١١٤] فحينئذ يبحث المرء عن عملٍ صالح يكفر هذا الذنب،
 ويكون قدر هذا العمل الصالح - على الأقل - بالنسبة لمن أراد الاستبراء
 لدينه يوازى هذا الذنب أو يزيد عليه.

ومن ثم جاءت فتاوى للفقهاء - رحمهم الله - فى مسائل تتعلق
 بذنوب ومخالفات شرعية، لم يرد فى تحديد كفارتها نصوص، جاءت
 اجتهادات للفقهاء سواء من الصحابة أو من بعدهم، فى بيان مقادير هذه
 الكفارات، كل يرى أن هذا القدر من العمل الذى أفتى به كافياً لتكفير
 هذا الذنب المرتكب.

فعلى سبيل المثال لم يرد نص صريح صحيح عن رسول الله ﷺ
 يحدد كفارة من لم يبيت ليالى منى بمنى، ولكن جاءت فتاوى كثير من
 الفقهاء بأن من صنع ذلك عليه دمٌ، وكذلك من تعدى الميقات بلا
 إحرام، ونحو ذلك.

فيرى فريق من أهل العلم إن إراقة دم وتوزيعه على الفقراء يكفر
 الذنب المذكور.

وكذلك أيضاً من أتى امرأته وهى حائض، فلا شك أنه آثم،
 وخالف قول ربه سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى
 فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]
 فكيف يكفر هذا الآثم عن ذنبه، يرى فريق من أهل العلم أنه يتصدق
 بنصف دينار، وبعضهم يرى بربع دينار، إلى غير ذلك، بناء على ما ورد

في حديث لرسول الله ﷺ^(١).

بينما يرى فريق آخر أن من صنع ذلك يعمل عملاً صالحاً، يوازي هذا الذنب، كصلاة أو صيام، أو صدقة، أو نحو ذلك، انبثاقاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾. [هود: ١١٤]

وقد قال تعالى أيضاً: ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾. [المائدة: ٩٥]
وتمَّ مسائل كثيرة على هذا النحو والنمط.

هذا بالنسبة للذنوب التي هي بين العبد وبين ربه سبحانه وتعالى، أما تلك التي تتعلق بالعباد، فيلزم فيها أداء الحقوق إلى أهلها، فمثلاً إذا سرق رجلُ مالاً من شخص يعرفه فلا يكفي أن يقول: أستغفر الله، بل عليه أن يرد المال إلى صاحبه.

كذلك إذا أفتى عالمٌ من العلماء الناس فتية فغشهم فيها عن عمد، فلا يكفي أن يقول: أستغفر الله، بل عليه أن يبين وجه الصواب في هذه الفتيا، يدل على هذا، وذاك قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيْنُوا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠]
وقول النبي ﷺ عن المؤمنين إذا خلصوا من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار «فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا»^(٢).

(١) وهو حديث ضعيف معلول، وقد بنيت ما فيه في كتابي: «جامع أحكام النساء».

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم =

وقال النبي ﷺ: «لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى تقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»^(١).

وكذلك من قذف امرأة بالزنا ، وهي بريئة لا يكفي في توبته قوله :
 استغفر الله ، فالله عز وجل يقول : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ
 يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)﴾ .

[النور: ٤ - ٥]

وهكذا ألا ترى أن الشهيد يغفر له كل ذنب إلا الدين؟! والله تعالى أعلم .

= بدخول الجنة ، فالذى نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدلُّ بمنزله كان في الدنيا .

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً .

فہرست الکتاب

الفهرس

الصفحة

الموضوع

٣	المقدمة
٩	• جمع النصوص الواردة في المسائل
١١	أخطار الأخذ ببعض الأدلة وترك البعض
١١	في مجال العقائد
٢١	في أبواب الشفاعة
٢٣	في مجال الفقه
٢٣	في مجال الصوم
٣١	في مجال الأشربة
	في أبواب الآداب والأخلاق
٣٢	في أبواب الحياء
٣٥	في مجال الحب والبغض
٣٦	في مجال التحدث بالنعم
٣٧	في مجال المظهر والتجمل

الصفحة	الموضوع
٣٨	في مجال معاملة أصحاب المعاصي
٤٢	في مجال التعامل مع أولى الأمر
٤٣	في مجال معاشره الناس
٤٥	مبحث في العزلة والاختلاط
٤٨	في مجال التقرب إلى الله بالأعمال
٦٢	جمع روايات الحديث الواحد
	البحث عن الدليل قبل الخوض في الأقبيسة
٦٤	والاجتهادات.
٦٥	النظر في الحديث بطوله وفي الروايات مجتمعة
٦٨	تفاوت المناهى في الدرجات
٦٩	إمعان النظر في الدليل
٧٠	إمعان النظر في ألفاظ الحديث
٧٥	الحرص على صحة الدليل وسلامته
٧٧	معرفة ما إذا كان الحديث يقعد قاعدة أو هو واقعة عين
٧٧	مسألة الطعام
٨١	مسألة الجمع بين الصلوات
٨٢	ألفاظ التسليم من الصلاة
٩٨	كيفية تحرير المسائل

الصفحة

الموضوع

- ٩٣ التآنى فى تنزيل الأحكام على الناس
- ٩٤ تغيير الفتوى حسب القرائن المحتفظة بالسؤال
- ٩٦ اختيار أخف الضررين
- الترخيص فى ارتكاب المحظورات عند وجود الضرورات
- ٩٧ يكون بقدر
- ٩٨ الإنصاف وقبول الحق ممن جاء به
- ١٠٠ مسائل يسع المسلمين فيها الخلاف
- ١٠١ مسألة القنوت فى صلاة الفجر
- ١٠٧ مسألة الجهر بالبسملة والإسرار بها
- ١١١ رفع اليدين مع تكبيرات الجنازة
- ١١٥ صلاة الجنازة عند القبر
- ١٢٤ مسألة الخضاب بالسواد
- ١٣١ مسألة : فىمن ترك الصلاة عمداً
- ١٤٠ لفظة فى تصحيح الأحاديث وتضعيفها
- ١٤٢ توقيف العلماء وإجلالهم
- ١٥١ وضع الاصطلاحات فى مواضعها الصحيحة
- ١٥٦ فهم المسائل على وجهها الصحيح
- ١٦٢ الموقف من النصوص العامة

الصفحة

الموضوع

١٦٦	السنة الفعلية لرسول الله ﷺ
١٦٧	الأحكام التي تعم بها البلوى
١٦٩	شئ من التوسط والاقتصاد
١٧٨	باب في الكفارات
١٨٤	الخاتمة
١٨٧	الفهرست

صفه : دار الإيمان
أخرجه : السيد بن أحمد أبو سيف
منية سمند - أجا - دقهلية - مصر